obeikandl.com

قهوة بنكهة الفراق

الكتاب : قهوة بنكهة الفراق
المؤلف : سمر سالم
تصميم الغلاف : مي يسري
تدقيق لغوي : أحمد أسامه
رقم الإيداع : 2015/11223
الترقيم الدولي :978 – 977 – 778 – 033 - 9
الطبعة الأولى :2015

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-02-35860372 011-27772007
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

قهوة بنكهة الفراق

رواية لـ

سمر سالم

obeikandl.com

obeikandl.com

إهـــداء

إلى من تقاسموا معى أحلامى وترعرت كنبتة بفضل دعائهما

أبـى .... الذى سلك معى الدرب ..وتشارك معى الحلم ..

أمـى .... التى قدمتني للحياة وأرضعتنى الأمل فى الله وفى نفسى

***

إلى الزهرتين اللتين زينتا حياتى بعطرهما ..

وتقاسمتا معى الوجع قبل الفرح واليأس قبل الأمل

والحزن قبل السعادة "أخواتى "ياسمين ,نورا"

***

إلى النسمة الجميلة التى أطلَّت مؤخرًا علي حياتنا "يوسف"

***

إليك أيها القارئ الراقي اتمني ان تجد في صُحبة روايتي متعًة لك

obeikandl.com

obeikandl.com

"الحنين وجع لا يحن إلى وجع "

هو الوجع الذى يسببه الهواء النقى القادم من أعالى الجبال البعيدة

وجع البحث عن فرح سابق .

لكنه وجع من نوع صحى

لأنه يذكرنا بأننا مرضى بالأمل ...

و عاطفيون"!

***

أيها الماضى! لا تُغيِّرنا... كلما ابتعدنا عنك!

أيها المستقبل: لا تسألنا: مَنْ أنتم؟

وماذا تريدون منى؟ فنحن أيضًا لا نعرف.

أَيها الحاضر! تحمَّلْنَا قليلًا، فلسنا سوى عابرى سبيلٍ ثقلاءِ الظل

"محمود درويش"

obeikandl.com

obeikandl.com

ليلة باردة ..وفنجان قهوة بنكهة الفراق

لم يكن كليهما يعلم أنه برغم الفراق سيتقاسمان هذه الليلة سويًا ، ببرودتها القاتلة وبفنجان القهوة المنبعث منه رائحة الألم ... سيتشاركان كلماتً كتب أحرفها هو بأنين الوجع وبلهفة المشتاق وحنين العاجز عن اللقاء .. وستقرأها هى بقلبٍ حائرٍ عاجزٍ عن الرجوع ولا عن الصمود

ليلةواحدة كانت كافيةأن تمطر عليهما سيلًا من الذكريات التى ضاعوا بين هُطولها وضاعت أنفسهم معها ...

فنجانًا واحدًا من القهوة كان كافيًا أن يَذهب بعقليهما .... فبين كل رشفةً وآخرى تتجدد ذكرى فى حياتهما

هى الليلة التى هربت فيها الأميرة المتمردة بعد كسر حصن قلبها المنيع وعادت من جديد مختبئة خلف قلاع الحزن .. والفارس الباسل هزمته المعركة بعدما كان شاهرًا سيفه معلنًا حبه - ولكن - رفُعت راية هزيمتهما معًا.. فتلك هى معركة الحب الإنتصار لهما والهزيمة تجمعهما ..

إنها ليلة خريفية - ليست كمثل غيرها من الليالى الباريسية...

***

فكيف له أن ينسى لقائهما الأول؟! ، فدائمًا البدايات هى العالقة بذاكرتنا ..وكيف لذاكرة كانت متعطشةً لأن تنحت على جدرانها ذكريات الحب..أن تنسى أول لقاء ؟!

وكيف لقلوب عاشت فصول السنة الأربعة ما بين خريفٍ تتساقط أوراقه ..وشِتاء تهُبُّ ريَاحه ..وربيع تُنْثَرُ أزهاره ..وصيف تُشرق شَمسه ..أن يمحى من داخلهم فصل الحنين واللهفة؟!

كان لقائهما الأول فى الخريف .. ولقائهما الأخير فى الخريف

وكأن الخريف يأبى أن يهجرهما دون أن يُسْقِطَ أوراق الحب من على أغصان قلوبهما العاشقة ,أو هكذا خُيِّلَ له بأنهما "عاشقين"

"باريس" يا مدينة الحب والنور كيف لكِ أن تشعلى نبراس الحب تحت سمائك .. وسُرعان ماتطفئينه؟!

هل الحب عاصفَةً تجتاح القلوب دون سابق إنذار - كما حدث معه؟..

أم أنه كالأمل لا ينمو إلا فى أرضٍ مُهَيَّأَةٍ لاستقباله كما تؤمن هى؟

عام كامل كان كافيًا . أن يوقد نيران الحب فى قلبه - أماهى - فلا تعلم هل هذا العام هو جسرعبرت به من ألم الماضى إلى أمل المستقبل ؟ أم انها وقفت فقط على ضفة الماضي و أبت العبور؟!

فى هذه الليلة ...

هوالآن قابعًا على نفس الطاولة بالمقهى المفضل لديهما متلحفًا بحنين ذكرياتهما معًا

المكان كما هو ..والشوارع كما هى ..باريس كعادتها فى كل خريف تتطاير أوراق أشجارها , وتتناثر على الطرقات .. زخات المطر تنقر برفق على زجاج النوافذ كعصفور يُغرد ثم تنساب كحبات اللؤلؤ ....رائحة القهوة تفوح فى أرجاء المكان ..هذا العجوز لازال يداعب "الكمنجة" بأعذب الألحان

كل شىء كما كان إلا هو .. لا شىء عاد يجذبه كما كان ،، لاشىء .... لاشىء

فقد أصبح يرى الآن باريس , ماهى إلا أشجارًا تتعرى من ملبسها وشمس يتملكها الحياء فتأبى الظهور - وقطرات المطر كأن السماء تشاطره الدموع .. وهذا العجوز ماهو إلا رجلًا بائسًا يعزف على لحن الوجع والفراق..

محاصرًا هو فى فلكها ويدور حولها معصوب العينين لايرى أى شىءٍ آخر ...

أما هى،، فعلى موعدٍ جديدٍ مع السفر,, ففى رحلتها الأولى كانت تحمل معها ذكريا ت الماضى ..أما فى الرحلة الثانية فهى مُثقلة بوجع الحاضر وأمل المستقبل

فى رحلتها الأولى تركت أرض الوطن واستوطنت فى قلبه ، وفى رحلتها الثانية تركت قلبه عائدة إلى الوطن

ومابين الرحلتين .. كان بقلبها رحلة أخرى عاشتها مُبعثرة ما بين الماضى والحاضر

لازالت تذكر يوم لقائهما الأخير - كان ذلك من أسبوعٍ مضى حينما قال لها" أنتِ ستظلين مسافرةً عبر الأحزان إذا لم تجددى تأشيرة الأمل فى حيا تك "

تركته ولا تعلم لأى سبب تركته ؟؟

هل السبب هو لعنة الماضى الذي يُقيِّدُهَا ؟!

أم لعنة التوقيت -أم أنها المفاجأت ؟!

هى حقًا لم تعرف ماهو السبب ولكن ما تعلمه جيدًا أنها تمنت فى لحظاتهما الأخيرة حينما أبلغته بقرار عودتها إلى الوطن أن يوقفها أو يمنعها ولكنه لم يفعل .. تركها وتركته ،، آلمها وآلمته

فهاهى الوحدة تصفعها من جديد ...

وكأن الطائرة على موعد دائمًا معها لتجديد ذكرياتها ,, وكأن حقيبة الفراق لازالت ترافقها فى كل رحلاتها ....

فى هذه اللحظة كانت الطائرة تتأرجح بين السماء والأرض، حتى صارت فوق السحاب ,, تحررت من حزام الأمان ،ولكن لازال عقلها مقيدًا بماضٍ وحاضرٍ يحاصرانها

ظلت طوال الرحلة شاردة الذهن واجمة وعلامات الحزن على وجهها وشريط حيا تها يمر أمامها كفيلم سينيمائىّ . بدأت أفكارها تتصارع مابين ماضٍ فات ومستقبل آت.تمنت لو أنها كانت طائرًا..يحلق بعيدًا مُخلِّفًا ورائه كل ما فات..

أرجعت مقعدها إلى الوراء قليلًا وأخذت نفسًا عميقًا فى محاولة منها لاستعطاف النوم أن يا تيها ولكن صدى الحزن بداخلها يُحْدِثُ ضجةً عارمة .. وكأن النوم أصبح وحشًا يصعُبُ ترويضه فتحت حقيبتها وأخرجت كتابًا مُغلفًا أعطاه هو لها فى لحظة وداعهما الأخيرة فى المطار

أزاحت الغلاف وكشفت الستار عن اسم الروايــة و مؤلفها،،

لا جـــــئٌ إلى الحب

لـ يوسف *الشامى*

لبضع دقائق ظلت شاردة تتأمل اسم الرواية واسم المؤلف، دار بخلدها الكثير والكثير من التساؤلات .. فإذًا هاهى المفاجأة التى قال لها عنها منذ أيا م: انتظرى منى مفأجاة ربما ستسعدك وربما ستحزنك ولكن من المؤكد أنها ستصدمك ..

وهاهى المفاجاة أمامها الآن , رواية جديدة من تأليفه هو, ولكن لا تعلم وراء أى المشاعر ستنساق الآن "السعادة أم الحزن أم الشعور بالصدمة التى تملكتها بالفعل فى هذه اللحظة..

لاتعلم هل الصدمة جاءت من المفأجاة بأكملها أم من اسم الرواية أم من اسمه هو!

ولعلها تكون من اقتران اسم الرواية باسمه "لاجئٌ إلى الحب / يوسف الشامى "

تمالكت نفسها **و أفاقت من شرودها وهَمَّت بفتح أولى صفحات الرواية**

إهــداء

"إلى من جمعتنى بها الأقدار فى الوقت الضائع

لنسجل معًا هدفًا من الأمل المؤقت فى مرمى الحيا ة

إلى من شاركتني قهوتى الصباحية

ورافقتنى أمسيا تنا على الشدو الفيروزى *فى ليا ل باريس الشتوية*

إلى عصفورة الشجن الحزينة التي حَلقت بعيدًا وتركتنى فى مخيم "الحب"

لاجـــــئًا"

obeikandl.com

استوقفها إهدائه للحظات ورجعت تقرأه عدة مرات ,, ابتسمت ابتسامة هادئة لم تخلُ من غُصَّةٍ بقلبها و دمعة ذُرِفَت من عينيها واستوطنت على كلمات إهدائه.

***

بدأت هذه الليلة الباردة - كلًا منهما متشبثًا بفنجان قهوته ..هو على هذه الرقعة من الأرض وفى هذا المقهى متلحفًا بذكرياتهما معًا ، وهى بين ثنايا السحاب وعلى هذا المقعد فى الطائرة تستكمل رحلة العودة إلى أرض الوطن بينما تواصل استكشاف الرواية والغوص فى بحر أحداثها .. وها هى بدأت بالفعل فى أولى فصولها ..

obeikandl.com

obeikandl.com

(1)

بيـــذكّر بالخريف

بتذكرك كل ما تيجى لتغيّم

وجهك بيذكّر بالخريف

بترجع لى كل ما الدنى بدها تعتم

مثل الهوأ اللى مبلّش عَ الخفيف

القصة مش طقس يا حبيبى

هاى قصة ماضى كان عنيف

بس هلق ما بتذكر شكل وجهك

بس بذكر قديش كان أليف

"فيروز ..... بيذكّر بالخريف "

obeikandl.com

باريس- خريف 2013

.. كان لباريس رونقًا خاصًا فى هذا الوقت من العام، للخريف مذاق مختلف ،، فالشوارع مُزيَّنَة بأوراق الأشجار المتناثرة على الطرقات بتنوع ألوانها الأصفر و البرتقالى والبنى بدرجاته-

الشمس تغفو متلحفة بالسحب، والسماء صافية اللون ..رائحة الأمطار ممتزجة برائحة القهوة والكرواسون الفرنسى المنبثقة من مقاهى باريس تعطر الشوارع ..."نهر السين" يُزين صفحته لوحة جمالية متناسقة الألوان من أوراق الأشجار المتساقطة..

فى هذا المقهى للخريف نكهة خاصة .. نكهة تحمل أصالة شرقية فالقهوة العربية برائحة الهيل والزعفران تفوح فى المكان

ودخان النرجيلة يتسلل فى زوايا المقهى ،وصوت "فيروز الشجى"كصوت ناى يتسلل من خلف التلال تتراقص علية الأفئدة وهى تشـدو:

بتذكرك كل ما تيجى لتغيّم

وجهك بيذكّر بالخريف

بترجع لى كل ما الدنى بدها تعتم

مثل الهوأ اللى مبلّش عَ الخفيف

openkanal.com

القصة مش طقس يا حبيبى

هاى قصة ماضى كان عنيف

بس هلق ما بتذكر شكل وجهك

بس بذكر قديش كان أليف

مقهى "liberté Café" أو كما يطلق عليه روَّاد المقهى "مقهى الحرية" يقع على مقربة خطوات من نهر السين وكعادته قالمقهى يكتظ بضيوفه من كافة الجنسيا ت العربية

هذا المقهى الذي استبدل صاحبها التونسى "عابد رشيد" اسمها القديم بالاسم الحالى"الحريـة" مع مطلع عام 2011

"الحريـة" اسمًا كان يحمل بين طيا ته أملًا كبيرًا لروّاد المقهى من العرب فى ذلك الوقت ...

فالكل يطمح أن يحلق كطائرٍ حرٍ طليقٍ فى بلاده بعيدًا عن سجون الظلم والجهل والفساد والتخلف

لم يتخلَّ "عابد" عن الاسم الجديد للمقهى فبالرغم من مرور أكثر من عامين على هذا الاسم تزامنًا

مع أحداث الوطن العربى وما يحدث فيها الآن ،،وسخرية بعض رواد المقهى من أن الاسم لا يتماشى مع الوضع الحالى لوطننا العربى إلا أنه

تمسك بالإسم كمن يتمسك بحلم لايريد الإفاقة منه ,,فالأمل فى الله وفى الغد حُلمًا يداعبه دائمًا ..

عشرون عاما قضاها "عابد"فى باريس ولكنه لاينسى أنه عربى الجنسية فجذور عشقه لوطنه العربى لم تُقْتَلَع .. فحاول بكل الطرق أن لا تنسى ابنته "سارة" ذات السبعة عشر ربيعًا بأنها عربية الجنسية ، مسلمة الديا نة حتي لوكان مولدها ونشأتها على أرضٍ فرنسية..

***

إنها الساعة الثامنة مساءًا بتوقيت مدينة "الحب والنور" قطرات مطر خفيفة تغازل شوارع باريس ..

هُنا وعلى الجدران صور لزعماء وفنانين ومشاهير عرب ..

على كل طاولة حكاية تختلف الحكايات ولكن تظل الحكاية الأكبر التي تجمعهم جميعًا "عروبتهم المجروحة"...أصواتهم ولهجاتهم العربية المختلفة تنبض فى كل أرجاء المقهى

فى أحد أركان المقهى وبالقرب من النافذة يجلس كعادته ممسكًا بين يديه فنجان قهوته وعينيه تلهث وراء الأخبارعبر شاشة جهاز حاسوبه

من نزيف سوريا إلى وجع مصر إلى ألم ليبيا إلى جرح تونس سافر فى رحلة المرض اللعين الذي أصاب جسد الوطن العربي لم يا خذه من

رحلته المأساوية إلا صوت "عابد" وهو يقترب منه لإلقاء التحية عليه:مرحبا بك " باسل" أشنيا أحوالك ؟

- أهلين فيك أخ عابد ..الحمدلله وانت كيفك؟

- عابد: لا بأس الحمدلله ..وانت وين من زمن ..توحشتك برشا

- باسل: وانت إلك وحشة أكتر والله ..شو بعمل أخى رحت ع سوريا يومين وبعدها مرقت ع لبنان أتطمن على الأهل هونيك ..

تنهد عابد ولم يجد على لسانه سوى كلمة واحدة "الله كريم"

فماذا بوسعه أن يقول غيرذلك هل سيسأله عن حال بلاده "سوريا " ككل مرة ويجيبه "باسل" بنفس الإجابة المحزنة :لا جديد بل الجديد اذا جاء يكون أسوء

أم سيسأله عن اهله المُشتتين بين سوريا ولبنان ..

لا لم يسأله فهو يعلم مسبقًت الإجابة ..فثمة أسئلة نعلم إجابتها مسبقًا ولكنها تُسأل من باب المجاملة أو مشاركة الآخر .. ولكن الوضع مع "باسل" يختلف فليس للمجاملة مكان ..

"فالصمـــت أبلغ من الكلام أحيا نًا"

انصرف "عابد" مخلفًا ورائه "باسل" الذي بدوره بدأ يباشر كتابة مقاله لإرساله لوكالة الأخبار الفرنسية التى يعمل بها منذ عامٍ مضى

,,بعد أن ترك هو وعدد من أصدقائه الجريدة التى كانوا يعملون بها فى سوريا إثر قصفها بقذيفة فى مطلع عام 2012

"باسل" الطائر المهاجر من مدينة الياسمين" دمشق" ذات الأبواب السبعة والأنهار السبعة ومن صوت الأذان من الجامع الأموى ،ولعب الأطفال فى حوارى دمشق، ورائحة أشجار المشمش والخوخ فى الغوطة, وسطوع الشمس على جبل القاسيون كل صباح.

تحول من طائرٍ مهاجرٍ إلى لاجئٍ مُشَتَّتٍ بين "باريس" و "طرابلس" اللبنانية التي انصهر فى تاريخها وقلاعها مختبئًا هو وعائلته فارين من بحر الدماء الذي يبتلع الجميع فى بلادهم سوريا

فى مثل هذا الوقت من العام الماضى وتحديدًا فى نوفمبر 2012 كانت عائلته تشد الرحال إلى"طرابلس" بعد أن شهدت "سوريا " بأكملها عامًا ونصف العام من الذعر والدمار فالموت يحلق فوق رؤوسهم فى كل مكان ،،

اختفت ضحكات الأطفال وأصوات زقزقة العصافير وحلت مكانها أصوات الرصاص و القذائف .. طغت *رائحة البارو د* على رائحة *الياسمين* الشامى والقهوة والمناقيش،،لاصوت يعلو فوق صوت "الموت"

فالجدران ملطخة بالدماء ..والأرض مليئة بالأشلاء فكل شبر بسوريا ارتوى من دماء أهلها

لم تكن معاناة"باسل" وحده بل هى مأساة بلد بأكمله يُصارع بين الموت على أرضه أو التشرد خارجه...

***

أقداح القهوة تملأ الطاولات .. وأصوات الرواد تتعالى تارة وتنخفض تارة .. وبين كل رمية نرد وآخرى أحاديث تُفتح ..والفوضى النسبية تنتشر فى المقهى ،،كعادتها "مقهى الحرية" تعج كل مساء بضيوفها من مختلف الجنسيا ت العربية

لم يكن فنجان قهوة واحدًا كافٍ أن يُدْخِلَ "باسل" فى صومعة الكتابة ،،طلب من النادل فنجانًا آخر ,,وعلى نغمات أغنية فيروز ورائحة القهوة ذهب بعيدًا بعيدًا إلى أكثر من ثلاثون عامًا مضت وتحديدًا فى وقتٍ كان لايزال فيه طفلًا لم يتجاوز السابعة من عمره بعد، يتذكر حينما كان يلعب"فى صحن الدار " هو وأخوه الصغير "غسان" وصوت نافورة المياه وسط باحة البيت تشكل سيمفونية مع "أغنيات فيروز الصباحية" التى تتسلل فى زوايا المنزل عبر "أثير الراديو"

وقف شريط ذاكرته عند هذه اللحظة التى انقطع فيها بث الأغنيا ت لفترة - وبعدها عاود البث من جديد ولكن بنشرة الأخبار . على صوت المذيع يقول : قصف بالطائرات والمدفعية والصواريخ لكامل مدينة "حماة"و آلآف من القتلى و....

لم يتذكر "باسل" من هذه النشرة الصباحية المفاجئة سوى بعض الكلمات وأصداء دعاء أمه وأبيه التى لازالت راسخة فى ذاكرته...

لايعلم ماذا جاء بهذه الأحداث الآن أمام عينيه هل رائحة القهوة الممزوجة بصوت فيروز

قد ذكرته بطفولته أم بسبب الأحداث الدامية التى تشهدها سوريا الآن جعلت التاريخ يعيد نفسه امامه ..ولكن مع الإختلاف هو لم يعش هذا الوجع فى طفولته ولم يتذكر سوى بعض الرواسب وكل مايعلمه عن هذه الأحداث الدامية التى شهدتها "مدينة حماة"فى مطلع الثمانينات ومقتل الآلاف من أهالى المدينة ، لم تكن سوى قصص يرويها له من عايش تلك الفترة...

أما الآن فهو لم يكن مستمعًا للأحداث أو مشاهدًا لفيلمًا دمويًا لم ينتهِ بعد ..بل هو وغيره الكثيرون من شباب سوريا يعيشون وسط الأحداث وبدمائهم تكتب تاريخ البلاد من جديد..

فلم تتعرض البلاد لهذا الإعصار القاصف منذ أكثر من ثلاثون عامًا مضت..

وسط هذه الحالة من الشرود والعودة إلي ملعب الطفولة ، أخذه هذا الصوت الهادئ كعصفور يُغرد وحيدًا فى قفصه ، فهذا الصوت مألوف له ..نعم مألوف ،استدار إلى الخلف قليلًا فتفاجأ بها جالسة مع صديقتها يحتسيان القهوة ..

تنهد بعمق وظلت نظراتِه تقتحم جلستهما ..فانتبهت صديقتها إلى هذا الرجل ذو العينين السوداوين العميقتين " كنسرين يريدان التحليق بعيدًا" وهوينظر إليهما وعلى شفتيه نصف ابتسامة تزين شفتاه

تلازمها عينان تتابعان بسعادة هذه الأميرة الجالسة على الجانب الآخر من طاولته..

نظرات متفرسة وابتسامة هادئة منه .. ونظرات مستنكرة من صديقتها له ظللتها وهى تقول بتعجب

- مش عارفه الشاب ده مركز فينا ليه؟!

انتبه هو إلى صديقتها وهى تتحدث إليها عنه ، فَهَم بالوقوف وتوجه إلي طاولتهما بهدوء

- قصدك مين يا دينا اللي سرحان فينا .. لم تستطع "حنين " استكمال جملتها إلا وقد رأته يقف أمامها منتصبًا مبتسمًا بعينان تلمعان و بهدوء قال لها : "أنـــا"

صوته اخترق أذنها وعقلها معًا ..فرفعت رأسها بدهشة وتصلبت الدماء فى عروقها وبصوت متحشرج قالت له :أنت....

أنت هنا من إمتى وليه؟

بابتسامته الساخرة أجابها :الناس بتقول مرحبا أو كيفك أو أهلًا أو أى شىء بالأول وبعدها بتسأل اللى بدها إياه..

تدخلت "دينا" فى الحديث ممازحة لهما وقالت : واضح انكم معرفة قديمة ،وانا اللى كنت فاهمة غلط

-ايه معرفة .. وكانت معرفة منيحة على القليلة من وجهه نظرى أنا .. ما بعرف دكتورة حنين كيف بتقييمها ؟!

- بارتباك قالت "حنين" : لا ..أكيد معرفة خير .. أهلا بيك يا أستاذ باسل

-مد باسل يده إليها :أهلين فيكى دكتورة وأهلا فيكى يا .....

قاطعته "دينا" مبتسمة :أنا "دينا" دكتورة زى "حنين"

استاذنهما فى الإنضمام للجلوس معهما قليلًا ..فأجابته "دينا" بمرح : طبعًا طبعًا اتفضل

بينما ظلت "حنين" متعثرة فى ارتباكها الذي أغرقها منذ مجيئه ,, لاحظ "باسل" ارتباكها وتوجه بحديثه لها قائلًا: لو دكتورة حنين مابدها أنضم للجلوس معكم فأكيد ما راح أزعجها

بابتسامة منهزمة رسمتها "حنين" على شفتاها قالت :لا ..أبدًا اتفضل ..

وبابتسامة تلوح بالإنتصار أومأ هو برأسه شاكرًا وسحب المقعد فى مقابلتها وجلس ..

لحظاتٍ قليلة من الصمت .. سعادة ظاهرة على ملامح وجهه وسهم يصوبه بعينيه نحوها ..وارتباك يجتاحها مع دقات قلب متسارعة متتالية كادت أن تهزمها وحركات عبثية بشعرها وكلمة واحدة تدور بداخلها "انت ..تانى!"

حاولت أن تتصنع الثبات..التفتت بوجهها صوبه فوجدت عينان تتفرسان بها .. نظرات كادت أن توقف قلبها ..أشاحت بوجهها إلى الإتجاه الآخر صوب "هذا العجوز الذي يدندن على كمانه" لعلها تجد شيئًا يساعدها على استرجاع هدوئها من جديد .. قطعت هذه اللحظات الصامتة دينا وهى تقول بدهاء :ما قلتيليش يا حنين انتم تعرفوا بعض ازاى وفين

حنين بصوت متهدج:

اتقابلنا من فترة فى ....

فقاطعها "باسل" مبتسمًا وقال : فى "أنطاكيا "

رفعت "دينا"حاجبيها باستعجاب متسائلة :أنطاكيا ؟!

أجابت حنين باقتضاب : مخيم بأنطاكيا بتركيا

تابع "باسل" الكلام وقال : انا كنت بعمل مراسل هونيك لتغطية أخبار المخيمات السورية

حنيــن :

وأنا كنت مع وفد أطباء عربى لمدة 6 شهور

ممازحًا قال "باسل" وهو يفرك بذقنه البسيطة: كانوا أكتر من ستة أشهر.. بظن

ضحكت "دينا"ضحكة ساخرة وتابعت :واضح إنك مركز أوى فى المدة يا أستاذ باسل

بابتسامة هادئة وبنظراتٍ ماكرة رمق بها باسل حنين قال :

يعنى شىء متل هيك ثم أردف حديثه موجهًا نظراته صوب "حنين" متسائلًا:ما حكتيلى شوعم تعملى هون فى باريس

أجابت حنين :عندى منحة لدراسة سنة فى جامعة السوربون

باسل:

أيه منيح - وبلشتى بالدراسة

- حنين : اه بدأنا من شهر تقريبًا فى أول أكتوبر

-بابتسامة هادئة قال باسل: الله يوفقكم..ثم تابع متسائلا: وين ساكنين؟

-أسرعت دينا بالإجابة : احنا مقيمين فى شقة على قدنا كده فى " منطقة اللاديفانس"

- قاطعت "حنين"حديثهما وهَمت بالوقوف وزفرت بضيق موجهة كلامها لدينا :

مش يلا بينا بقي يا دينا احنا إتأخرنا

-ابتسم باسل وقال مداعبًا : ليش مستعجلة فينا نشرب فنجان قهوة مع بعض

بحدة أجابت "حنين ":

لأ معلش احنا لازم نمشى إتأخرنا وعندنا محاضرات الصبح بدرى .. فرصة سعيدة

قام كلًا من حنين ودينا تاركتين الطاولة وتوجهتا صوب باب المقهى .استَّوقفهما "باسل"موجهًا حديثه إلى "حنين" :فيني اخد رقمك

فنظرت إليه باستغراب وقالت له: رقمى ..... ليه؟؟

باسل:

- منشان اطمئن عليكى ..ثم تابع بابتسامة ماكرة : ولابدك تتركى باريس متل تركيا بدون سلام ولاحكى

-ابتلعت "حنين"ريقها بصعوبةوأجابت: لامفيش داعى للرقم .. ومتشكرة على ذوقك ..ثم تابعت وهى رافعةً أحد حاجبيها بتحدٍ قائلة: انا هنا معايا صاحبتى وما أظنش هحتاج شىء

فى هذه اللحظة كانت دينا تراقب هذا الحديث الفاتر من قبل "حنين" والمتحمس من قبل"باسل" وكانه "صراع ديكة" أوشك على البدء ... ثوانٍ قليلة و استاذنته كلاهما للإنصراف ..

تاركتان هذا الباسل منتشيًا يدندن فرحًا بعودة لقائهما من جديد...

***

توقف المترو فى محطة "اللاديفانس"La Defense أو كما يطلق عليها باريس الجديدة بالقرب من وسط باريس .. وعلى بعد 20 دقيقة من المترو يقع قوس النصر وشارع الشانزلزية الشهير ..نزلت كلًا من "حنين ودينا "وتوجهتا صوب إحدى البنايات المتواضعة قاصدين مسكنهم

فى شقة صغيرة تضم غرفتين صغيرتين وريسبشن متوسط الطول وشرفة صغيرة تطل من بعيد على نهر السين وقفت "حنين" فى الشرفة تتأمل أضواء باريس وهى تتلألأ على صفحة "السين " و الأوراق وهى تتساقط من الأشجار فكم يأسرها هذا المنظر الخلاب ..تسائلت بينها وبين نفسها هل سيأتي يومٌ تتساقط فيه أحزانى كتساقط الأوراق من على الأشجار؟

فحياتها الآن كورقة شجر تائهة ضائعة تلهو بها الرياح , وأحلامها باتت كشجرة تموت أوراقها فى الخريف وتتناثر على الطرقات ,, أيامها تمر ثقيلة مُحملة بأنين الذكريا ت ..والحزن أصبح عنوانها ,, لاتعلم

هل الحزن من اختارها أم هى من اختارت من الحزن مخبئًا تنعزل فيه؟

فهى بالكاد تضع أرجلها على أرض الواقع ,, تاهت فى أحزانها وتاهت أيامها معها ، فالغد أشبه باليوم ,,واليوم أشبه بالبارحة.

بقايا إنسانة متناثرة تكاد تتعايش مع الواقع وردة ذابلة تتطاير أوراقها واحدة تلو الأخرى لالون لها ولارائحة - بعدما كان عبيرها يفوح ويملأ المكان..

ظلت شاردة غارقة فى تساؤلاتها ..ثم وجدت سؤالًا ينبض بداخلها : تُرى أى صدفة هذه التى جمعتنى به من جديد ؟!

وأى قدرٍ كان هذا الذى جمعنى به فى المرة الأولى؟!

المرة الأولى جملة تدق على ناقوس ذاكرتها .. ترافقها كلماتٌ أخرى تظهر على هيئة فلاشات قصيرة تمر على شريط ذكريا ت

"أنطاكيا ..تركيا ..مخيم .. نوفمبر 2012 ....."

***

راحت فى لحظة شرود أرجعتها عامًا مضى من الزمان ..إلى مكانٍ قد أرهقها فيه تتابع أحداثه الموجعة ,, فكان الوجع هو الإشارة التى تراها أمامها فى كل خطوة تخطوها ...لحظة شرود استرجعت ستة أشهر كاملة تجسدت أمام عينها بصورة مرئية تمر بمخيلتها

سريعًا ..لم تفق من شرودها إلا على صوت دينا وهى تهمس فى أذنها :هاه.. مش هتقوليلى - ايه حكايتك مع اللى اسمه "باسل" ده؟

قطبت "حنين"جبينها وقالت منفعلة : ولاحكاية ولاحاجة يا دينا انتي ليه مُصرة تعملى من الموضوع قصة!

دينا: طيب اهدى كده يا ستى أنا بهزر ...كل ما فى الموضوع إنى لاحظت إنه لطيف معاكى وانتى متحفظة فى الكلام معاه فسالتك فيه ايه ؟

استدارت "حنين" مرة أخري صوب النافذة وبصوت هادئ قالت : لازم أكون متحفظة ولازم التعامل مع أى واحد يكون بحدود

اقتربت "دينا" منها قليلًا وربتت على كتفيها وقالت لها : بس ده مش أسلوبك يا حنين مع كل الناس .. انتى بتتعاملى مع زملائنا فى الجامعة بذوق وحتى قبل ما نيجى باريس واحنا فى شغلنا فى مصر كنتى مش ..... ثم بترت "دينا "بقية الجملة

نظرت "حنين لها وقالت بسخرية ماتكملى :كنتى مش.. قليلة الذوق ..... مش قصدك كده

دينا مرتبكة: لأ مش قصدى كده أنا بس مستغربة من طريقتك العصبية ،مش أكتر.

بس عمومًا يا ستي ..براحتك ما تحكيش ..بس انا متأكدة هتيجى من نفسك وتحكيلى ..أكيد مش هيون عليكى تسيبينى للفضول ياكلنى كده

انطلقت من "حنين" ضحكة كانت تود أن تكُتمها ولكن لدينا دومًا طريقة معها لتعديل مزاجها ولسحب الحديث منها بكل سلاسة

جلست الفتاتين بالقرب من النافذة وكلًا منهما ممسكة بيديها فنجان القهوة ونظراتهما مشتركتان صوب "الأضواء التى تتلألأ فوق صفح السين من بعيد"

بعد دقائق مرت مثقلة مغلُفَة بالصمت ، قطعتها "حنين" بصوتٍ يختلط فيه الحزن بالألم وقالت بتهدج:

"أنا لسه بحب خالد ومش قادرة أشيله من تفكيرى "

التفتت "دينا" إليها متفاجئة وقالت لها : محدش طلب منك انك تشيليه من تفكيرك يا حنين ... بس هو ايه اللى جاب "خالد" على بالك دلوقتى؟

اضطربت "حنين" وهَمت فجأة بالوقوف فى محاولة للتماسك قائلَة: ما تاخديش فى بالك .. انا هدخل انام علشان هنقوم بدرى ..... تصبحى على خير

دينا بدهشة : وانتى من اهله

***

لم يكن النوم بهذه السهولة التى تتصورها "حنين" - فما من وسادة تحمل بين طياتها "مئات الذكريات" يسهل على من يتوسدها أن يجد فى نومه راحة ..مرات تتقلب يمينًا ويسارًا ..تمضى الدقائق وتتحول إلى ساعات ،، ورغم إغلاق عينيها ولكن النوم لا يريد أن يزور مضجعها وقد أبى شريط الذكريات أن يغادر مُخيلتها .. فنبضات قلبها أصبحت مُتعبة منهَكة وباتت تسأل نفسها "هل من المفترض أن أدخل فى غيبوبة حتى أجد الراحـة؟

***

بدأ " نور الصباح "يتسلل فى زوايا الغرفة معلنًا عن يومٍ جديد ،، ولكنه بالنسبة لها صباحًا فاترًا، اسَتيقظت كَعادتِها شاردةً هاربةً من الحاضرِإلى الماضى - من وادى الأمل إلى صحراء الذكريا ت التى تُركِت وحيدة فيها بائسة يائسة ,لا غيث فيها يروى عطشها ولا غيمة تختبئ تحت ظلها ... هاربةً من نفسها إلى نفسها !! ...

أُزاحتْ غطائها ونهضت من سَريرها ..تَمنت فى هذه اللحظة لو أنه كان بمقدورها إزاحة كل هذه الأفكار من رأسها , ولكن ... واقع الذكريا ت كان أقوى من واقع النسيان.

لطالما يراودها "حنين الذكريات" فبالفعل صدقت المقولة التى تقول" ولكم فى أسمائكم نصيب "

"حنين " اسمًا يحمل بين طيا ته لوعة الحنين وانين الذكريا ت

قررت أن تستقبل هذ الصباح بفنجان قهوتها كالعادة كمحاولةً منها للهروب المؤقت من ألم الذكريات وتنقية الإحساس من كل ما أصابه من شوائب..

فظهور "باسل" من جديد ووجوده بنفس المدينة كافٍ أن يعكر مزاجها وأن يجعل الذكريات القريبة تحلق فوق رأسها كطائرٍ لم يتعب بعد من الدوران ...

***

من داخل أروقة جامعة السوربون حيث كان الحماس والنقاش مشتعلًا بين الطلاب - فأخيرًا وجد عقلها مرسىً آخر يرسو فيه ليرتاح قليلًا... ساعتين مرّوا عليها وعقلها وكل حواسها متجهةً إلى "البروفوسير جاك فرانسوا"

انتهت المحاضرة وانتهت معها الراحة المؤقتة التى هربت إليها من ضجيج الأفكار التى تتصارع داخل عقلها .. شردت لوهلة وأفاقت على صوت "دينا" وهى تنبهها إلى الذهاب للمكتبة للإنتهاء من البحث المطلوب منهما

***

على جانب آخر وبعيدًا عن السوربون ..وداخل مقهى "الحرية" جلست الغزالة المراهقة ذات السبعة عشر عامًا "سارة" مع صديقاتها ..ضحكات عالية منهن وعبثية فى الحديث وأصواتٍ تحلق فوق سماء

المقهى لاتبالى بأحد ولا لأحد ... مشاكسة متمردة كجدائلها الذهبية الملتوية الثائرة فوق كتفيها

- اقترب " عابد " من الطاولة موجهًا حديثه إلى ابنته "سارة " وحثَّهَا على خفض صوتها قليلًا فالمقهى مليئٌ بالضيوف

ولكن هيهات هيهات أن تستمع "سارة" إلي أحد فعقلها هو من يحركها وعنادها هو من يقودها

ناقمة على كل شيء حتي على لغتها العربية التى لا تحب التحدث بها فكل زميلاتها فرنسيات تتشارك معهن فى التمرد والعناد

انفعلت "سارة" من نصائح أبيها الدائمة لها وتوجهت منفعلة إلى أحد الزوايا بالقرب من "قسم المعجنات والمخبوزات بالمقهى"

ووجهت حديثها إلى أمها مختلطًا بالتونسية والفرنسية وطلبت منها أن يكف والدها عن إحراجها أمام زميلاتها وأن لايلاحقها بأعطائها دومًا التعليمات

حاولت "سميرة" أن تهدئ من روع ابنتها "سارة" وأن تشرح لها أن أبيها خائف عليها وأنها فتاة عربية مسلمة ويجب أن تراعى هذا حتى لو كانت على أرضٍ أوروبية

تأففت "سارة" من كلام أمها وبلهجة عصبية منفعلة قالت لها بالفرنسية أنا لأ احب أن انتمى إلى دولة عربية فالكل هنا يعلم بأن العرب جهلاء ويتصارعون ويتقاتلون دومًا

أنفعلت "سميرة "من كلام ابنتها .. وبدأت تصيح فيها بصوتٍ عالٍ مستفهمةً منها من يلقنها هذا الحديث وأين تعلمته .... لم تستمع "سارة" إلى كلام أمها

وقطعت "سارة"حديثهما وهمَّت بالإنصراف مسرعةً إلى طاولتها حيث تجلس صديقاتها ,,فى هذه اللحظة ودون سابق إنذار نهض فجأة من طاولته واصطدم بها فاشتعلت غضبًا ..تدارك الموقف سريعًا وقال لها pardon..Je ne l'ai pas fait exprès

ردت عليه بضيق وقالت :ça ne fait rien matter

اقترب منهما "والدها عابد" معتذرًا وقال له بارتباك : بنعتذر أخ باسل شنو "سارة" اللى عملتيه انتي مجنونة

ابتسم "باسل" لأ أبدًا ما حصل شيء

وفرصة كتيير حلوة إنى أشوف بنتك "سارة" أخى عابد

ابتسامة هادئة ساحرة تبرزعلى إثرها إحدى غمازتيه..وعينين عميقتين لامعتين تضحكان -هما إشارة أرسلها دون أن يدرى إلى تلك المراهقة المتمردة ...جعلتها فى دقائق تنقلب من بركان غاضب إلى نسمة هادئة

مد "باسل" يده للسلام ..وقال لها كيفك

ارتبكت "سارة" قليلًا بسبب عصبيتها و انفعالها وحاولت أن تسترجع هدوئها وبصوتٍ هادئٍ قالت له :

tres bien merci

comment allez vous?

تدخل أبيها فى الحديث وقال لها : أستاذ باسل عربى سورى "سارة " فيك تتحدثى بالعربية معه

باسل ممازحًا :ولايهمك تحكي متل ما بدها .. المهم تكون مرتاحة بالحكى

بابتسامة هادئة أجابت "سارة": يعيشك

فانطلقت ضحكة مدوية فى المكان من "باسل" وقال موجهًا حديثه إلى سارة : لوبدك الحق ما فى أحلي من لغتنا العربية بكل لهجاتها

نظر "عابد" إلى "سارة" نظرة تتخللها ابتسامة ساخرة تحوى الكثير من المعان التى فهمتها سارة ..

فليس وحده من يتمسك بتراثه العربى وسط هذه الأمواج الغربية الباريسية المتلاحقة على شاطئ حياة ابنته

obeikandl.com

فهنا اللغة العربية باتت على حافة النسيان .. وتقاليدهم العربية أصبحت كمريض على فراش الموت لا أحد يعمل على إفاقته أو مساعدته

فهو يعلم جيدًا أن ابنته فى فترة المراهقة ،، والتمرد والعناد هو عنوان المرحلة ولكن لا يود وسط عنادها وتمردها أن تنسي دينها وتقاليدها فيحاول بكل الطرق أن تتمسك ابنته بهذه التعاليم والتقاليد "كتمسك الغريق بقشة"..

***

يتسلل ضوء الصباح مع إطلالة شمس باريس الدافئة المُشرقة تعلن عن يوم جديد..

" يومًا بلا قيود "كما أطلقت عليه "دينا"

انطلقت الفتاتين "حنين ودينا" تجوبان شوارع باريس فى محاولة منهن لسرقة لحظات من الزمن هاربيتين من ضغوط المذاكرة التى تلاحقهن..

وفى ساحة ميدان "شارل ديغول" كانت نقطة انطلاقهما إلى" Arc de Terionphe أو كما يطلق عليه بالعربية "قوس النصر" الذى تم تأسيسه من قبل "نابليون بونابرت"ليكرم أولئك الذين قُتلوا فى الثورة الفرنسية والحروب النابليونية،،

من فوق مبنى "قوس النصر" شاهدوا جمال وسحر باريس يتفرع من هذا الميدان أجمل وأشهر شوارع باريس "شارع الشانزليزيه"فعلى جانبيه توجد العديد من المقاهى الشهيرة ودور السينما المرموقة والكثير من المحلات التجارية التى تُباعُ فيها أشهر الماركات العالمية .فهو أشبه بمسرحٍ استعراضيٍ كبير تعرض فيه أفخم وأبهى العلامات التجارية المختلفة حيث يتردد على محلاته الكثير من الأثريا ء ويجلس على المقاهى العديد من المشاهير..

من جولة المحال الشهيرة إلي الإستمتاع بفنجان قهوة فى مقهى زجاجى تداعب قطرات المطر الخفيف نوافذه,, جلسوا لاحتساء كوبين من القهوة الفرنسية

بابتسامة قالت دينا مداعبةً: يعنى يرضيكى كده يا ست حنين يبقى بقالنا شهر فى باريس ومحرومين من الجمال ده ..يعنى خلاص المذاكرة مش هتخلص

ردت "حنين" ساخرة :

اللى يشوفك كده يقول ما بتخرجيش ما إنتى كل كام يوم فى مكان

دينا مداعبة : هو انتى بتسمى التمشية جنب البيت على نهر السين فسحة ولا نقعد فى كافيه شوية فسحة... يا بنتى باريس فيها حاجات كتير

حنين: واضح انك نسيتى ان أول ما وصلنا باريس جينا اتمشينا هنا فى الشانزليزيه

دينا: لأ ما نسيتش بس احنا ما لحقناش ننبسط حضرتك وقتها كنتى مستعجلة نروح الجامعة وننهى أوراقنا ومن يومها الدراسة واخدانا

***

بعد هذه الجولة الممتعة اختتموا نهاية شارع الشانزليزيه العريق بزيارة المسلة المصرية بساحة"الكونكورد" التى تُحيط بها عدد من النافورات والتماثيل الرائعة

فها هنا جزء من مصر يتألق على أرضِ "باريس"..المسلة التى هاجرت من أرض مصر إلى باريس ,,بعد أن أهدتها الحكومة المصرية إلى فرنسا فى عهد "محمد على"

وقفت "حنين" أمام المسلة تتأمل جمالها وتذكرت مقولة قرأتها فى إحدى المرات تقول:"

" إن أردت أن تعرف الحقيقة عن وطنك فسافر بعيدًا عنه "

فها هو جزء من عراقـة مصر يزيّنُ ساحة"الكونكورد"بباريس,,

لم تفق "حنين" من شرودها إلا على صوت "دينا" وهى تمازحها وتقول: يعنى مش احنا بس اللى مهاجرين ده "المسلة" كمان هاجرت من مصر قبلنا

ردت حنين بضحكة : انتى كل حاجة عندك بتقلبيها هزار حتي التاريخ

هزت "دينا" كتفيها للأعلى وبضحكة طفولية قالت : يا ستى سيبيها على الله ..خدنا ايه من الجد والحزن

أومأت "حنين"برأسها وقالت :على رأيك

دينا: بقولك ايه يا حنين ما تيجي نعدى على كافيه "الحرية" شوية نشرب حاجة

نظرت لها حنين باستغراب وقالت : اشمعنى يعنى كافيه الحرية؟!

أجابت دينا بنظرة يتخللها خبث وقالت بطريقة ممازحة: خلاص براحتك ..انا قلت نسلم على صحابنا اللى هناك

اتسعت عينا حنين وبانفعال قالت :صحابنا مين .. انتى تقصدى باسل

ضحكت دينا وبطريقة ماكرة قالت لحنين :هو أنا جيبت سيرته ... معنى كده إن إنتى شايفاه صاحب

اجتاح "حنين" غضب شديد وقالت : دينا لوسمحتى ..ما تتكلميش بالأسلوب ده ..انتى عارفة انه هو ولا صاحب ولا حاجة ولا أحب تقحميه فى كلامنا كل كام يوم

دينا: طيب اهدى .. اهدى مش هجيب سيرته تانى ..بس مش ملاحظة انك بتتعصبى أوى من سيرته يا حنين

ما تريحبنى وتقولى فى ايه هو عملك حاجة أزعجتك..

ارتبكت حنين قليلًا وأشاحت بوجهها بعيدًا ووجدت نفسها بدون أى قيود تتحدث لدينا : بصراحة يا دينا أنا مش عارفة

دينا متسائلةً : مش عارفة ايه ؟

تنهدت حنين وأجابت :مش عارفة إذا كان أزعجنى ولا لأ ومش عارفة ليه لما قابلته تانى اتوترت

دينا: ما هو أكيد فيه حاجة خلتك تتوترى أو تنزعجى

..... ايه اللى حصل فى تركيا يا حنين؟

تفاجأت "حنين" من طريقة دينا فى الحديث وشعرت كانها وقعت فى مصيدة الإعتراف .. أسرعت الخُطى متجاهلة كلام دينا وعينيها سارحتان لا ترى للطريق أى معالم

حينها أوقفتها "دينا" بالقرب من إحدى المقاهى القريبة من "ساحة الكونكرد" وجلستا سويًا

أخذت حنين نفسًا عميقًا وبعدها رشفت رشفة من فنجان قهوتها وقالت لدينا:أقولك ايه يا دينا .....بس

أنا نفسى مش عارفة هو فيه قصة احكيها ولا مفيش ؟!

كل اللى أعرفه إن أنا كنت عاوزة أهرب من وجعى ومن اللى حصل ليا فى مصر وما صدقت عرفت ان فى وفد أطباء متطوع من عدة دول عربية لستة شهور فى المخيمات السورية على الحدود التركية

وروحت انضميت لهم ... قلت لنفسى أهو أنسى همى واعمل شىء مفيد وامشى بالمثل اللى بيقول" اللى يشوف بلاوى الناس تهون علىه بلوته"

قاطعتها دينا متسائلة: طيب ايه اللى حصل؟

ردت حنين بدمعة متحجرة بعيونها :اللى حصل ان هموم الناس تعبتنى أكتر وفى كل لحظة بتفكرنى بوجعى..

نظرت لها دينا مندهشة وقالت : طيب باسل دخله ايه

بابتسامة ساخرة يتخللها حزن قالت حنين : مهو ده بقى اللى أنا مش عارفة هل هو له دخل ولا انا اللى حساسة

دينا بتعجب : ازاى ..فهمينى

رجعت"حنين"بذاكراتها إلى عامٍ مضى وتحديدًا فى نوفمبر 2012.....

(2)

عصفــورة الشجن

أنا يا عصفورة الشجن مثل عينيك بلا وطن

بى كما بالطفل تسرقه أول الليل يد الوسن

و اغتراب بى ،، و بى فرح كارتحال البحر بالسفن

أنا لا أرض و لا سكن

أنا عيناك هما سكنى .... هما سكنى

أنا يا عصفورة الشجن أنا عيناك هما سكنى

راجع من صوب أغنية يا زمانا ضاع فى الزمن

"فيروز...عصفورة الشجن"

obeikandl.com

"أنطاكيا –تركيا - خريف 2012"

قصتهم مثيرة للجدل كقصة المدينة التى هم لاجئون فى خيامها على الحدود ..

فروا هاربين من بلادهم فور اغتصاب حقوقهم وأرواحهم إلى مدينة اغتُصِبَت فى السابق من أرضهم - يومًا ما كانت ملكًا لهم .. واليوم ملكًا لشعبٍ آخر .. " هكذا هى لعبة الحياة ماتملكه اليوم ربما يصبح لغيرك فى الغد ..لا ضمان ولا أمان "

ملامحهم الشرقية وهويتهم العربية وتعدد أطيافهم وأعراقهم تمامًا مثل هذه المدينة التى تحمل

على أرضها أطيافًا وأعراقًا عديدة ..

"أنطاكيا " التى كانت لأكثر من تسعمائة عام عاصمة لسوريا و بعد انقضاء الحرب العالمية الأولى أصبحت المدينة مثلها كباقى الأراضى السورية تحت الانتداب الفرنسى حتي عام 1946 م -وخلال الانتداب تخلت فرنسا عن المدينة وقدَّمَتْهَا هدية "لتركيا "

"أنطاكيا " المدينة التركية بالنكهة السورية التى على أرضها يجرى "

نهر العاصى " الذي احمّرت مياهه بدماء شهداء "حلب واللاذقية وأدلب وحمص "

لاتعلم وأنت تسير على أرضها هل أنت فى سوريا أم فى تركيا ؟!

فى وسط شوارعها تري ملامحهم الشرقية تائهة فى الزحام،، بعض المحال التجارية تحمل أسماءًاعربية،فى الأسواق تنتفس رائحة الشام ،فالطابع الشرقى ينبض حولك فى كل مكان

ولعل اللغة التركية هى من تنبهك أنَّكَ على أرضٍ ليست عربية..

ولعل خيامهم البيضاء المتناثرة على الحدود ومعاناتهم هى من تنبهك انهم ليسوا سكان هذه المدينة بل هم الذين تشتتت أرواحهم بين بلادهم وبين هذه المُخيمات ،، هم من اختلطت دمائهم بمياه العاصى وجرفهم التيار إلى هذه الحدود خوفًا من شبح الموت الذى يطاردهم هناك

وكأن "المُخيمات" لم تكتفى بصراخهم وآلامهم فكانت للطرقات والحارات فى"أنطاكيا " نصيبًا من أوجاعهم

ففى داخل المخيمات يضمن اللاجئون على الأقل طعامًا وشرابًا ومكانًا يؤويهم وإن كانت ضئيلة ،، أما خارجها

وفى طرقات وحارات "أنطاكيا " فليس أمام السورى إلا أن ينتظر مساعداتٍ تأتيه من هنا وهناك ،هذا إن جاءت !..

وليس هذا حال مخيمات أنطاكيا وحدها بل حال المخيمات المتناثرة على حدودنا العربية أجمع.

***

بالقرب من إحدى "مخيمات" مدينة أنطاكيا التركية حيث يقطن الألم داخل المخيمات ودماء القلوب تنزف قبل الجسد - و بالقرب من هذا الوجع يوجد مستشفى صغير ولكنه مجهز بالكامل يحوى فريقًا عربيًا متطوعًا من عدد من البلدان العربية"دكتور مجدى حلمى ودكتورعلى المصرى ودكتورة حنين الألفى من مصر" ومن سوريا تنضم دكتورة لمى راغب ..ومن الإمارات دكتور عبدالله نايف ودكتور فيصل سعيد" مع فريق من الممرضات

جاءوا جميعهم تحت مبادرة تطوعية من الهلال الأحمر لتقديم المساعدة لعدد من المخيمات منقسمين بين مدينتي أنطاكيا ومرسين لفترة ستة أشهر

ستة أشهر كانت "لحنين" كقشة تتعلق بها ،،سعت بكل الطرق الممكنة للإنضمام لحافلة الأطباء المتطوعين للعمل بالمخيمات فلم تصدق اليوم الذي أبلغها فيه الدكتور مجدى حلمى بخبر انضمامها معهم فى القافلة المتجهه بعد أيام إلى مدينة أنطاكيا للعمل وتقديم المساعدة للنازحين السوريين فى المخيمات هناك

كانت فرحتها عارمة بهذا الخبر ولم يُنَغِّصْ فرحتها سوى رفض والدتها فى بداية الأمر فلازالت تتذكر كلمات أمها وهى تقول لها: مخيم يا حنين ! ..احنا ناقصين وجع قلب يا بنتى مشكفاية اللى شفناه هنا فى مصر ولسه بنشوفه ..ثم يا بنتى هو أنا ليا غيرك انتى واختك بعد ما أبوكم إتوفى ..عاوزة تقلقينى عليكى ليه!

ولكن توسلات أمها لم تَجِدْ صدىً عندها فقد كان أمامها هدفًا واحدًا وهو "أن تبتعد هذه الفترة عن مصر لأنها لا تريد شيئًا يذكرها بأوجاعها .. بل على العكس كانت تريد أن تشغل تفكيرها بهدف تحيا لأجله - وتُسَخِّرَ نفسها له وأن تشعر معه بأوجاع الآخرين لكى تُخَفِّفْ من أوجاعها ..

***

خارج المستشفى صف انتظار طويل تحت الشمس منذ الصباح الباكر،،،

فرحلة العذاب تنطلق مع انطلاق أشعة الشمس - حيث يبدأ المرضى فى الزحف نحو صالة الكشف آملين فى العلاج الفورى والراحة

فى هذه اللحظة المبكرة من الصباح سمعت صوتًا يناديها من خلف "باب" استراحتها :دكتورة حنين ..دكتورة حنيييييييييين بدنا إياكى فى المخيم

أسرعت الخطى وفتحت الباب فإذا بمساعدتها الممرضة "رغد" واقفة بالباب

بحالة من القلق والتوتر قالت "حنين":خير يا رغد فى ايه ؟

بارتباكٍ أجابت "رغد"-فيه أسرة لساتها واصلة من حلب وفيهم طفل وامرأة متصابين

-شعرت "حنين"بغصة تجتاح قلبها وأسرعت بالتوجه إلى "المخيم"

أجواء من القلق والذعر تخيم على المخيم بأكمله بعد وصول عدد من النازحين الجدد الفارين من الموت من سوريا

دخلت "حنين"المُخيم وفى إحدى الخيام التى يتجمع فيها عدد كبيرمن الأفراد - وجدت الدماء تسيل من قدميه الصغيرتين النحيلتين وعيناه السوداوين الضيقتين تحوى ألم الوجع ودموعًا تنساب على وجنتيه الحمراوتين

"أياد"هذا الطفل الصغير الضئيل الذى لم يتجاوز بعد الثامنة من عمره ,,حملته أكتاف والده فارًا به فى زورقٍ صغير عبر نهر العاصى من دارهم "بحلب " التى قُصِفَت وتحولت إلى أنقاض وتحولوا هم الى لاجئون إلى الحدود أملًا فى ان يجدوا مثل غيرهم "خيمة" يستظلون بها

اقتربت"حنين" من "إياد" وكفكفت دموع بيدها وقبَّلَت يديه الصغيرتين والتفتت إلى أمه وربتت على كتفها وقالت لها بهدوء:ما تقلقيش لحنا هننقله لمستشفى قريبة من المخيم وإن شاء لله مش هيحصل غير كل خير

بدموع منهمرة قالت "أم إياد" يا ربت يا دكتورة ..يا ربيييييييييت لم يبقى لى إلا هو وأخته الصغيرة- بيكفى ابنى الكبير راح فى القصف

تسللت الدموع من عين "حنين" وهى تستمع إلى قصة هذه الأسرة المكلومة ،ثم جالت بنظرها فى كل الوجوه الموجودة بالخيمة - الدموع متجمدة فى عيون البعض ومنسابة من عيون الآخرين ولسان حالها يقول : يااااااارب افرجها من عندك

دقائق قليلة ووصلت سيارة إسعاف لنقل إياد وأمه المصابة هى الأخرى إلى المستشفى التى تقع على بعد خطوات قليلة من المخيم

كان اليوم الأول لها ثقيلًا محملًا بالوجع فى كل مكان حولها ترى شبح الموت يحلق ،،

ما ذنب هذا الصغير "إياد" وماذنب أخيه الذي راح ضحية القصف ؟ وماذنب أهله المشردين ؟ وماذنب كل مواطن مسكين مغلوب على أمره هنا وفى مصر وفى كل بلد عربى؟ ما ذنبهم فهم خارج دائرة الصراع ولايسعون إلي سلطة أو جاه كل ما يحلمون به هو "حيا ة يحيونها كبشر وأن لا يعيشوا كالأموات فى جسد أحياء".....يا الله... ماذنبهم؟؟!!

أسئلة كثيرة تدور في ذهنها ولعل المساء لايريد أن يغادر دون أن يضع بصمات الألم والوجع على قلبها

***

في المستشفى وعلى أحد الأسِرَّة الصغيرة يرقد، وترقد أحلامه الصغيرة معه ..،اقتربت منه "حنين" وبيدها علبة الألوان وبعض الورق الأبيض .. داعبته قليلًا ومرت بيدها على شعره برفق

وبلهجة حانية قالت له: إياد ..حبيبي يللا شد حيلك بقالك أسبوع هنا ..مش عاوز تطلع وتلعب مع أصحابك بقى؟

نَظر اليها الطفل وعينيه مغرورقتان بالدموع وهو يقول: أنا بدى ألعب مع "فارس"

حنين: مين فارس

تدخلت الأم الراقدة على السرير المجاور والدموع تنساب من عينيها وتقول : فارس ابنى الكبير اتقتل في القصف اللى دمر بيتنا

حاولت "حنين"تهدئة الأم واحتضنت "إياد" بين ذراعيها وحاولت أن تمازحه قليلًا قائلة :

شفت بقى أنا جيبتلك ورق وألوان وعاوزه أشوف هترسم لنا ايه يا فنان؟

ابتسم "إياد" إبتسامة صغيرة واحتضن بين يديه "علبة الألوان والورق "وسط نظرات أمه المتألمة من أجله ...

***

كان قرص الشمس يميل إلى المغيب حينها بدأت "حنين" التحرر قليلًا من وجع المخيم ووجع المستشفى بالأمه

قررت الترجل قليلًا بعيدًا عن " المُخيم" - كانت صورة "إياد" وهو يبكي ويتذكر "أخيه" المسيطرة على خيا لها ..وجدت نفسها مُحاصرة من جديد فى وسط هذه الأوجاع

هذه المنطقة ليست بالسهولة أن تجد نفسك محررًا فيها فالمُخيمات تحيطك من كل الجوانب

والذهاب إلى وسط المدينة يحتاج جهدًا ووقتًا ولن يجدى السير على الأقدام

فما كان بوسع "حنين" أن تفعل شيئًا سوى الإبتعاد قليلًا عن جو المخيمات التى تملأ الحدود بين حلب وأنطاكيا

بضع خطوات سارت وهى شاردة الذهن إلى مكان هادئ ويبعد قليلًا - و على جانبيه بعض الحقول الخضراء والأسلاك الشائكة اقتربت قليلًا وهى تتأمل المكان وتسائلت عن ماهية هذا المكان وهل يسكن فيه أحد؟

وسط شرودها وتاملها جاءها من بعيد صوتًا عاليًا مدويًا :

مين انتى - وين رايحة؟

استدارت إلي الخلف والخوف يملؤها من قوة هذا الصوت ومفاجأتها فى وسط هذا الهدوء

حاولت أن تلملم نفسها وتستجمع هدوئها وأجابت بلغة متمردة : وانت مالك انت؟ ..انت اللى مين؟

اقترب منها وبنظرة يتخللها التحدى قال لها: شو يعنى مالى ؟

انتى مابتعرفى ان هون منطقة خطر؟

بتعجب نظرت إليه حنين متسائلة :خطر فى ايه؟

بطريقة ساخرة وبصوتٍ منفعل قال: يعنى ما بتعرفى ؟ .. وكمان بتحكي وتقولى مالك انت؟

هالمنطقة يا آنسة كلها الغام

الغاااااااام .. قالتها حنين وهى ترتجف

أجابها بسخرية :ايه الغام ومابيعرف هالمناطق منيح غير سكانها

وما فيكى تتمشى هون

اعتراها شعور بالخوف وتسألت بارتباك : ألغام أيه ؟! .... أمال اللى بيعبروا الحدود هنا كل يوم بيعبروها أزاى؟

فى هدوء مفتعل أجابها: هيدى حدود وما فيها أمان تخيلى ان فيه أكثر من 600 ألف لغم على طول الحدود مع سوريا

هيدا طبعًا زرعه الجيش التركى بين عامى 1957 و1998 لمنع عمليات العبور غير الشرعية للبلاد

وكتار ناس بيعرفوا هالقصة ولكن للأسف البعض فى الفترة الماضية عبر لتركيا عن طريق هالحدود فعلقوا بحقول الألغام...

فزعت "حنين" لما سمعته وشعرت بالضيق يتخلل صدرها ..لحظات من الصمت مرت عليها فى محاولة لاسترجاع هدوئها وحاولت أن تشكره بهدوء على تحذيرها وإنقاذها من مكان كادت أن تضيع فيه

- ماحكيتيلي انتى من وين ؟ لهجتك مو شامية

- حنين:

أنا إسمي" حنين " دكتورة مصرية مع الوفد المتطوع هنا بشتغل بالمستشفى القريبة فى مجمع المخيمات

أبتسم لها بهدوء وقال لها : أهلين فيكى يا دكتورة ,,

ثم أردف قائلًا : صار فينا نرجع إلى المستشفى أو مكان سكنك ما بيصير نضل هون كتيير

شكرته حنين وقالت له بهدوء: لأ .. شكرًا لك انا هقدر أرجع بنفسى مش هتوه

بسخرية قال لها : مش قصة تتوهى .. أكيد انتى مو عندك فكرة بالمكان وإلا ما كنتيش جيتى لهون

نظرت له حنين نظرة غيظ وقالت بحنق : مافيهاش حاجة لما تكون شردت شوية وانت ماشى ..... وأردفت كلامها وقالت بأقتضاب : ومرة تانية شكرًا ليك ولتحذيرك

هَمت"حنين" بالإنصراف مسرعَة .. وسار هو ورائها ينادى عليها بصوتٍ عالٍ: يا اااادكتورة فيكى تقفى شوية.

لم تعره "حنين" أى اهتمام وأسرعت الخُطى..

صوت *دوى إطلاق نار* يأتي من مكانٍ قريب ..زلزل المكان ،أصيبت على إثره "حنين" بموجة من الفزع والقلق .توقفت عن التحرك .*تسمرت فى مكانها* للحظات

بسرعة خاطفة كسرعة البرق جاء بجوارها وبصوتٍ مدوٍ كصوتِ الرعد قال لها : تعى ..... إجري بسرعة لهونيك

بالقرب من إحدى المبانى المهجورة توقف الإثنان عن الجرى ولازال صدر حنين يعلو ويهبط من الخوف والفزع

حاول تهدئتها وبهدوء قال لها: انتى منيحة

بصوتٍ مرتبك قالت :الحمدلله .. ايه اللى بيحصل هنا مش مفروض المنطقة دى فيها مخيمات وحراسات

تنهد بعمق وقال لها: مافى أمان بأى منطقة ..هون على الحدود عصابات مسلحة ما بنعرف هى تبع أى تيا ر

واستكمل كلامه قائلًا :منشان هيك قلتلك أوصلك إلى المخيم أو المشفى

لكن واضح انك راسك يا بس

استدارت له حنين وقالت له وهى *متجهمة* الوجه :ايه راسك يا بس دى؟

حاول أن يتدراك عصبيتها ومازحها قائلًا :بقصد يعنى عنيدة كتير .... وما أن وجد بعينيها نظرة بها شرارة غضب كادت أن تنطلق فبدأ يتحدث بطريقة مازحة وقال لها :

ايه خلاص عنيدة شوى ولا تزعلى

طأطأت رأسها خجلًا وارتسمت على شفتيها ابتسامة هادئة ... ابتسم هو الآخر لها ومد يده لمصافحتها معرفًا بنفسه

"باسل الحلبى ... كاتب ومراسل صحفى"

مدت يدها هى لأخرى لمصافحته: أهلًا بيك يا /باسل .. انت أكيد سورى

أجابها : اى نعم سورى من دمشق

تطلعت "حنين" إليه مندهشة : مراسل هنا فى المخيمات إزاى أنا اللى أعرفه ان فيه تشديد أمنى محدش يدخل من الإعلام للمخيمات

ضحك "باسل"ساخرًا :لا مو قصة تشديد أمنى هيداحكى عالفضائيات - وحسب رغبة الحكومة التركية بتدخل بعض وسائل الأعلام..

بالنسبة إيلى انا مو كاشف كتير عن هويتى انا بدخل المخيمات بكثرة بحجة إن إيلى بعض الأقارب هون بقعد معهم أيام وأيا م تانية بروح على طرابلس لزيا رة الأهل

استكمل كلامه ولازالت الضحكة مرسومة على شفتيه : يعنى فيكى تقول انى طائر بحلق بين كل الدول

سوريا شوى ولبنان شوى و هون بتركيا شوى وقريبًا هستقر بباريس للعمل

تبادلا أطراف الحديث أثناء سيرهما إلي المُخيم حتي استقر بهما الحال بالقرب من أحدى المبانى السكنية الخاصة باستراحة الأطباء ..شكرته حنين على مساعدته وغادرت منصرفة إلى مسكنها

***

جاء المساء وبداخلها الكثير من التساؤلات ولسان حالها يقول "إلى أى الأماكن أنا جئت ؟؟

الخطر يُحاصر كل مكان؟؟

ظننت أننى سأهرب مؤقتًا من وجعى وأوجاع بلادى ولكن إلى أين هربت إلى أوجاعٍ أكبر...

الحدود مليئة بالكثير من القلوب الجريحة والأجساد التى تنزف ...

تُرى على أى الأوجاع أتألم أكثر ؟

تُرى هل سيظل الوجع بصدرى مكتومًا كلغمٍ مزروعٍ ينتظر أن يضغط عليه أحد لينفجر؟

كادعقلها ينفجرمن كثرة التفكير والحيرة..حتي غلبها النعّاس فاستسلمت له

***

أحيانًا نصادف فى الحياة ظروفًا أصعب من ظروفنا .. و منا من يجد ظروفه سهلة مقارنة بظروف الآخرين

،،ومنا من يرى فى ظروف الآخرين استكمالًا لمسلسل أوجاعه وأحزانه فيصعب عليه الخروج من تلك الظروف ... وتظل ظروف الآخرين الموجعة بالنسبة له كإشارة تذكره دائمًا بظروفه ....هذا ما كانت تشعر به "حنين" فإن انصهارها فى أوجاع الاخرين يذكرها دومًا بأحزانها ... ولذا كانت هذه الزيا رة مخيبةً لآمالها ..

obeikandl.com

(3)

يا جبل اللى بعيد

يا جبل اللى بعيد خلفك حبايبنا

بتموج متل العيد و اهمك متعبنا

اشتقنا عالمواعيد بكينا تعذبنا

يا جبل اللى بعيد قول لحبايبنا

بعدو الحبايب بيعدو... بعدو الحبايب

عجبل عالى بيعدو... و القلب دايب

بعدو الحبايب بيعدو بيعدو

و سألت باب الداروين الناس و أهل الدار

قالي الهجر غدار تركوا البيت طفيوا النار

"فيروز .... يا جبل اللى بعيد"

obeikandl.com

مع بزوغ الشمس يولد صباح جديد , يحمل معه "أمل ..ألم .. فرح ..حزن " لاتعلم بعدما يخبئه اليوم لك ,,إلا بعد أن تنصهر فى أحداثه

البعض يكون صباحه ما هو إلا مسلسل مكرر ممل يعلم تفاصيله مسبقًا

والبعض الآخر يخلق من كل صباح يومًا جديدًا له ويترك حاله لمفأجأته

أمام هذا المستشفى , الصباح ما هو إلا مشهد يتكرر كل يوم فى نفس التوقيت طوابير من المرضى الواقفين العالقين وسط موجة البرد الزائرة لهذا الصباح

بداخل المستشفى وبالقرب من سريره الصغير اقتربت منه ممازحة: صباح الخير يا إياد

ابتسم لها الصغير مُرَحِّبًا: صباح الخير دكتورة حنين

جلست بجواره وداعبت خده وقالت : ها..... ايه أخبارنا النهارده

فأجابها بنظرة حزينة : منيح بس ما بعرف رجولى مو قادر أحركها

ربتت على كتفيه الضئيلتين وقالت له بصوتٍ دافئ : معلش شد حيلك واسمع كلام الدكاترة وخد الدواء فى وقته وانت هتقوم وتجرى زى الحصان

ارتسمت على شفتى الصغير ابتسامة صغيرة ..بادلته "حنين"بنفس الإبتسامة ،لم يقطع ابتسامتهما سوى صوته الذى يأتى من خلفها بنبرة دافئة وهو يقول: صباح الخير

استدارت متفاجئة بوجوده ،،همت بالوقوف وردت عليه :صباح النور.....خير حضرتك هنا فى زيارة لحد؟

أجابها بطريقة ساخرة : لأ .. أنا مريض وإجيت اطمئن على حالى

شعرت من كلامه بلهجة ساخرة يحاول بها أن يتقرب ويفتح مجالًا للمزاح بينهما.. بطريقة حازمة جافة أجابت: حضرتك هنا مش مكان للهزار ..ولا ده وقت للهزار ..

شعر بالإحراج من كلامها وبدأ يلملم ابتسامته قليلًا وقال لها بهدوء: أنا بعرف يا دكتورة هيدا مو مكان للمزح ولا وقت للمزح .. كل مافى الحكاية إني كنت قريب من هون فمرقت أصبح عليكى وأعتذر إلك لوكنت غليظ معاكى بالأمس..وبعتذر لو الآن أسلوب حكيى ماكان على ذوقك

باقتضاب ردت "حنين" :حصل خير وأصلًا مفيش شىء زعلنى امبارح..

تركت "حنين" المكان مخلفة ورائها كلًا من "إياد" ممسكًا بورقة وعلبة ألوانه وبجوار سريره يقف"باسل"

فى هذه اللحظة اقترب "باسل"قليلًا من سرير "إياد" وجلس بجواره وفى محاولة للمزاح معه والتخفيف عنه قال له: أنا باسل وانت شو اسمك يا حلو؟

أجابه "إياد" بصوت يكاد يكون مسموعًا : اسمي إياد

أخذ باسل الورقة من يد "إياد" وتامل فيها "تحتوى على رسومات صغيرة ولكن تحمل الكثير من المعان " ، ظل ممسكًا بالورقة يتاملها وبصدره غصة لم يستطع البوح بها

حاول أن يتدراك آلمه وبطريقته المازحة قال لإياد: ما شاء الله أديش رسمك حلو

أثناء حديثهما ،عادت من جديد "حنين" وقبل اقترابها من سرير إياد تفاجأت من طريقة "باسل" واحتوائه لإياد بين ذراعيه

اقتربت منهم موجهة حديثها إلي إياد وهى تقول: إياد يلا ميعاد الدواء

أعطته الدواء .. ورمقت بعينيها الورقة الموضوعة بجانب الصغير وعليها بعض الرسومات

ألتقطتها بيديها وراحت تتأملها بحزن " ألم حصره الصغير فى رسمة غاب عنها ألوان الفرح ..رسمة لطفلين أحدهما غارق فى الدماء على الأرض والآخر يمسك بيديه بندقية" .. قطعًا هذان الطفلان هما "إياد وأخيه الأكبر "فارس" الذى اغتالته طلقات الغدر والخسة ..

ترقرت من عينيها دمعة انساقت على وجنتيها

رفعت رأسها من على الورقة وجدته يتأمل وجهها وهى تدمع .. ارتبكت وهمَّت بالإنصراف مسرعةً ،،فجاء ورائها يناديها:

دكتورة حنين

التفت للوراء قليلًا برأسها ولم تحرك جسدها صوبه وردت:خير يا أستاذ باسل ..هتهزر فى ايه تاني؟

اقترب منها ووقف فى مواجهتها وقال بصوتٍ متهدج : مو معنى إنى حاولت إنى أمزح شوى معاكى يبقى معناته إنى إنسان مو مسئول أو واخد الدنى مزح على طول

أنا بحاول أتعايش مع أوضاعنا اللى هون وما أحمل حدا هموم أكتر...

ثم أردف كلامه وهو يقول: يا دكتورة هون ناس كتير بتتألم ووراء كل حدا فينا قصة

فما تحكمى بالمظاهر فقط

وعلى رأي المقولة اللى بتقول" لو دخل كل واحد فينا لقلب التانى لأشفق عليه"

خرج "باسل" مندفعًا مُخَلِّفًا ورائه "حنين" غارقةً وسط تساؤلاتها وحيرتها,,,

***

عاد "ديسمبر" من جديد حاملًا معه أمطاره الغزيرة ورياحه العاصفة ..وكأنهم لم يكفيهم بعدُ أمطار الحزن التى هطلت على حياتهم .. ورياح الوجع والألم التى اجتاحت قلوبهم

فهاهو "ديسمبر" البارد يأتى ببرودته التى تقابلها حنينهم الدافئ ومشاعرهم الملتهبة نحو وطنهم

..موجة رياح عاتية تجتاح المكان .. تقتلع بعض الخيام .. مياهٌ تتسرب داخل البعض الآخر وكرات من الثلج تتدحرج على الطرقات

فوضي نسبية تتسرب فى المكان .. الكل يريد أن يحافظ على تلك القماشة التى يختبئون تحت مظلتها

الأطفال يختبئون تحت البطانية هربًا من البرودة ..التى بالفعل تسربت داخل أجسادهم

وسط هذه الفوضى يدخل فريق الأطباء للإشراف على جميع الخيام وإعطاء الصغار "أمصال ضد الإنفلونزا"

هذا إن كفت جميع الأطفال! ....

تبرعات من هنا وهناك و محاولات باءت بالفشل للهروب من زمهرير الشتاء

داخل كل خيمة أصواتًا عالية البعض يهلل بالدعاء والبعض يلعن الظروف والبعض الصمت هو سيد الموقف لديهم ..

وفى إحدى الخيام تجرى الصغيرة من خيمتها إلى خيمة جيرانها لتلعب مع رفيقتها فتحذرها الأم بصوتٍ عالٍ وهى تصرخ : انتبهى ..... انتبهى من الوحل

فيرد الأب بلهجة يائسة بائسة : هو فى وحل أكتر من اللى إحنا فيه

خيمة آخري يعلو فيها صوت الدعاء لهذين العجوزين ..خيمة ثالثة يرتعد أطفالها من البرد فى محاولات من الأمهات لتدفئة الصغار

هذا هو حالهم إما الموت مجمدين من البرد فى المخيمات أو محترقين تحت طلقات وقذائف النيران فى بلادهم - وما بين الإثنين أمواتًا فى جسد أحياء يحاولون أن يسرقون من الحياة لحظات للعيش..

***

ظلت هذه الموجة الباردة أيامًا متتالية إلى أن سطعت من جديد شمس "أنطاكيا" الدافئة

ومعها سطعت بعض الأحلام والآمال مُحلقة فى السماء

أصوات قرع الطبول تدق من بعيد ..على أغنياتٍ شامية تراثية يتراقصون

ففى كل يوم داخل هذه المُخيمات تعيش قصص لا حصر لها ما بين الوجع والألم والفرح والأمل

اقتربت "حنين" خطوات بالقرب من الطريق الفاصل بين عدد من المُخيمات فوجدته يقف وبيده "كاميرته"

ألقت عليه التحية ..التفت إليها ورد التحية : أهلين دكتورة

فسألته متعجبة : هو إيه صوت الطبل ده كله

فأجابها بابتسامة مرسومة وبطريقة استفزتها قليلًا قال : فيكى تمشى خطوتين للأمام وبتشوفى بنفسك فى ايه

نظرت له وهى رافعة حاجبيها فى اندهاش من طريقته فى الكلام معها .. تركته وسارت إلى الأمام قليلًا

وجدت عروس بفستانها الأبيض وعريس يتألق ببدلته وتجمع بسيط من الاهل والأصدقاء حولهما

اندهشت من هذه الحالة وراحت تتسائل بينها وبين نفسها : فرح ... وهنا فى المُخيم ..وفى الظروف دى؟

وسط اندهاشها اقترب منها وقال هامسًا فى أذنيها: ما أنا حكيتلك من قبل ان لكل خيمة هون حكاية وكل حكاية ورائها قصة ألم ووجع ،، بيكفى ان بكل خيمة ما بتلاقى الأسرة عددها كامل - منهم اللى قُتل ومنهم اللى ما قدر يعبر الحدود ومنهم اللى بيصارع الحياة

ومع كل هيك بيحاولوا يسرقوا من ساعات أحزانهم دقائق فرح

أومأت برأسها وبسمة مرسومة على شفتيها اختلط فيها الحزن بالفرح بالوجع وقالت: صحيح معاك حق أستاذ "باسل"

واستكملت كلامها له قائلة :بس دول ايه قصتهم ؟؟ حبوا بعض هنا ؟؟ ولا يعرفوا بعض من زمان

فابتسم لها وبطريقته المازحة قال بمكر: فينى أحكيلك القصة كاملة ؟ ولكن أكيد فى مقابل

نظرت له بضيق وقالت: مقابل ايه ؟؟ وأردفت قائلة :ثم أنا ما طلبتش منك تحكيلى قصتهم

بنفس أسلوبه الممزوج بالمكر والمزح قال لها: أنا عم بمزح معك ..ثم ما كنت هطلب أكثر من فنجان قهوة بأى مكان وأنا بحكيلك القصة

بسخرية قالت له: يا سلام ... هو يعنى قصة ألف ليلة وليلة محتاجة قعدة وفنجان قهوة

لا..خلاص مش عاوزة اعرفها ..ربنا يفرحهم

اقترب منها قليلًا وبصوتٍ هادئ قال: أنا بعرف المصاروة مو بخلاء ..هتستخسرى فيني فنجان قهوة

خلص يا ستى ما بدى تعزمينى ..بعزمك أنا

ارتبكت "حنين" من طريقته معها فى الحديث ومحاولاته للتودد إليها حتي لوعلى سبيل المزاح كما يقول ..

" أنا لازم أمشى ... اتأخرت على المستشفى" قالتها وهى تنصرف مسرعة متجاهلًة نظراته المُقتحمة لها..

***

يومٌ جديد من أيام "أنطاكيا"

فى أحد المقاهى العريقة القريبة من جسر نهر العاصى ، جلست تحت خيوط أشعة *الشمس*

الدافئة التى تحاول *التسلل* من *بين* السُحب الغائمة فى نهار شتاء ديسمبر البارد

جلست تحتسى قهوتها وهى *تتأمل* مياه نهر العاصى المتمردة التى تتلألأ *تحت شمس* أنطاكيا الدافئة

هذا النهر الذى يتمرد على قوانين الطبيعة فبخلاف جميع الأنهار العاصى ينبع من جهة الجنوب و يتجه للشمالعلى عكس الأنهار الأخرى التى تجرى من الشمال للجنوب.. نهرًا متمردًا عصيًا تمنت لو كانت مثله تتمرد على كل شىء حولها .. ولكن ثمة خيوط لا نستطيع وحدنا أن نحركها فهناك من يتشارك معنا فى مسك أطراف الخيط ولعلها "ظروفنا أو أوجاعنا أو أحزاننا" التى تكون دائمًا هى الطرف الآخر للخيط .. فهذه هى الحياة نضيع بين طرفى خيط ...

وسط حالة تأملها وشرودها لمحته من بعيد ... فالتفتت بعينيها إلى مكان آخر محاولة أن تتجاهل رؤيته وأشاحت بوجهها بعيدًا عنه ... اقترب من طاولتها فى هدوء وقال لها : شو هالأنوار

أدارت رأسها نحوه وردت بحنق: هو انت جاى ورايا هنا ولا ايه

فثمة شعور داخلها يقلقها من اقتحامه السريع دائرة حياتها .. ودت أن تضع ألف حاجز وحاجز منعًا لاقتراب أحد من حصونها ..

رفع حاجبيه مندهشًا من طريقتها معه فالكلام ورد ساخرًا : لا .. بالحقيقة ما إيلى بجو المطارادت هاد

أنا كل يوم هون بالمقهى مع رفقاتى

نظرت إلى بعيد حيثما كان واقفًا وأرجعت نظرها من جديد إليه وقالت: بس أنا مش شايفة فى حد معاك

ابتسم لها وهو يجلس فى مواجهتها : أيه مشكلة .. ضيعت دليل برائتى أنا

بنظرة اندهاش وتعجب نظرت إليه وهو يتحدث ويجلس دون أستئذان منها

رمق نظرتها المندهشة له فحاول أن يتخطى هذه اللحظة بابتسامة هادئة وقال لها: تسمحيلى بفنجان قهوة معكى

تنهدت فى استياء ثم قالت:: بعد ماحضرتك قعدت ..بتسألنى؟!

بنفس الإبتسامة المرسومة على شفتيه قال بصوتٍ هادئ دافئ: بعتذر ... لو جلوسى عم يزعجك...و استكمل حديثه وهو يمازحها : بس بظن ان فى بينا "اتفاق"

بدهشة قالت: اتفاااااق .....اتفاق ايه؟

بنظرة ماكرة تتخلل عينيه العميقتان السوداوين قال : مو وعدتك ان بحكيك قصة الأتنين اللى اتزوجوا بالمخٌيم مقابل فنجان قهوة

ابتسمت على استحياء وقالت له: انت لسه فاكر القصة دى بقالها فترة

فابتسم هو الآخر وبنظرة متمردة تحمل شقاوة الأطفال قال : اى فاكر ...بس كل شىء بوقته حلو

أكَّدَت على جملته الأخيرة وهى تهز رأسها بالقبول :صح كل شىء بوقته حلو

لكان فينى أطلب فنجانين قهوة " حدثها ممازحًا"

-حنين : لا المفروض ان زى ما اتفقنا القهوة عليا والقصة عليك .. ولاانت عاوز تقول المصريين بخلاء

-انطلقت منه ضحكة عالية وعينيه تلمعان فى الوقت نفسه وقال لها ممازحًا : لا أكيد مو بخلاء المصريين انتم الكرم كلو

واستكمل حديثه بابتسامته اللامعة قائلًا :انتى بتعرفى ان احنا وانتم واحد

نظرت له للحظات وهى شاردة فى كلامه ... فأردف حديثه وهو يقول: ايه واحد ... نسيتى ان مصر وسوريا كانوا كيان واحد ودولة واحدة اسمها "الجمهورية العربية المتحدة" بعام 58 أيام ناصر الله يرحمه

أومأت رأسها وقالت له بفخر :صحيح كنا دولة واحدة وإيد واحدة .... لحظات قليلة وتسربت لهجة الحزن بين شفتيها وقالت: بس شوف دلوقتى مصر بقيت ايه .. وسوريا بقيت ايه

هز رأسه فى تفهم وتأييد لكلامها وتنهد بعمق وقال لها: ايه معك حق ... أوضاع بلادنا صارت متل القطار..

اندهشت من تشبيهه وقالت بدهشة : قطار!!!

فهز رأسه مؤكدًا على كلمته وقال بهدوء ونبرة حزن ظللت حديثه : ايه ..قطار

بالأول بتبدأ الرحلة فى "محطة القطار" بحلم وانتفاضة ضد الظلم والفساد وأول ما القطار يقوم بتلاقى رُكاب ما بتعرفى هويتهم ولا هدفهم ولا مع مين بيتشاركوا معاكى الرحلة وفى منتصف الطريق بتلاقى الرُكاب الأصليين شوى شوى بيترموا بره القطار على الطرقات والممرات فيه اللى بيعيش وفيه الموت ما بيصبر عليه... كل هاد والقطار بيسير وجواته حرائق واشتعال والكل عاوز يرمى السواق ويقعد مطرحو

وفى النهاية ركاب القطار الأصليين منهم اللى واقف يتفرج من بعيد على القطار وهو بيجرى ..ومنهم اللى بيحاولوا يرجع يركب تانى ..ومنهم اللى قاعد بالمحطة منتظر القطار ييجى له مرة تانية

لكن ما حدا فكر فى حال القطار والدمار اللى حدث فيه.... هيدا اللى بيحدث فى بلادنا العربية القطار عم بيسير بسرعة والحرائق والعنف والقتل جواته ما بتهدا .. وركابه الأصليين بلشوا يتخلوا عنه

قطعت "حنين" كلامه متسائلة: تقصد الركاب الأصليين "الثوار"

أجابها : مو شرط ثوار أى مواطن شريف بيحمل بقلبه حب لوطنه ..

قطعته مرة أخرى منفعلة: يعنى المفروض المواطنين يعملوا ايه... نزلوا وثاروا ضد الظلم والفساد

حصل لهم ايه .... اللى مات واللى اتصاب واللى اتسجن واللى بيتهدد

وفى الأخر ايه اللى حصل ..عندك فى مصر مثلًا الرئيس الحالى مين "محمد مرسى"

مش ده الحلم اللى صبر شباب كتير ان يحصل عليه - ولا ده الأمل اللى دفع شباب كتير أرواحهم تمن له

نظر لها بعمق وهو يتامل انفعالها الزائد وقال لها: معك حق.. بس الشعب هو اللى اختار بمصر

اختيار صح ..اختيار خطأ .. الشعب لازم يتحمله

بنفس الإنفعال قالت له: الشعب اختار .. لإن الشعب للأسف مش شايف قدامه على الساحة حد مناسب يا إما تبع النظام القديم يا إما ناس من غير وزن على الساحة يا إما تيار جديد ماشى بقال الله وقال الرسول

ابتسم لها ابتسامة تحمل سخرية وقال : ايه الشعب ما بيعرف شو بيختار لأن الإختيارات أمامه محدودة

وللأسف شعوبنا العربية عاطفية الحكى والشعارات بتأثر فيهم

قطع حديثهما صوت النادل وهو يقترب منهما ويقدم لهما القهوة ....

تخللت لحظات صمت هادئة بينهما وكلًا منهما ممسك بيديه فنجان قهوته وعينيه شاردة نحو "نهر العاصى" وبرأسهما سيلًا من الأفكار المتصارعة

قطع أفكارها صوته وهو يقول : بتعرفى .. الحياة بالظبط متل فنجان القهوة هاد

فضحكت ضحكة هادئة وقالت له بسخرية: هو انت كل حاجة عندك لها تشبيه

فابتسم وقال لها : ايه تقريبًا بحاول اتفلسف شوى

فأجابت بابتسامة تزين ثغرها:-طيب اتفلسف... بس ليه بقى الحياة زى فنجان القهوة

فأجابها وعينيه شاردة نحو "العاصى" : لأن الحيا ة يوم مُرة ,, ويوم حلوة وبين مرارتها وحلاوتها بتعيشها بكل لحظاتها الحزينة قبل المفرحة والأليمة قبل السعيدة ..هيدي الحياة ما بتقدرى تقولى فى يوم متكون الحياة ،مرة ما بدي أعيش بالعكس لازم تعيشى وتقاومى وتحلمى

أردف حديثه قائلًا: بالظبط متل العروسين اللى بالْمخيم لو ضلو متل غيرهم قاعدين يفكروا فى اللى حصل لبلادهم ولحالهم ما هيعشيوا ... لكن فكروا ان كيف يعيشوا فى أسوء الظروف

قاطعته بصوت وهن: معاك حق .... بس ما قلتليش قصتهم ايه

استدار برأسه صوبها وبعينيه الضاحكتان قال : ايه نسيت ..انتى عزمتينى على فنجان قهوة ولازم أوفى دينى إلك

نظرت إليه فى خجل وقالت : اه ..تقدر تقول كده

فأجابها بنظرة عميقة يتأملها وهى تبتسم وقال لها بابتسامة : طيب ..يا ستى

اسمعي لكان .. أولًا هيدى مو أول قصة زواج هون بالمُخيمات تقريبًا التالتة على حد ما أنا شفت ويمكن أكتر

بس هالقصة أحلى شوى عن غيرها ..

هالعروسين .... الشاب اسمه "عدنان.. والصبية عالية "

عدنان وعالية كانوا بالجامعة مع بعض وأول ما بلشت التظاهرات بدمشق كانوا بيطلعوامتل باقى الطلاب من الجامعات ويهتفوا ضد النظام ... وضلو هيك مع الشباب المتحمس شهور

ولكن أول ما بلشت الدف تتجه لحرب أهلية واختفى الثوار الحقيقيين من المشهد ... وأصبح الموت بيحاوط الجميع بكل زواية وبكل بيت وبكل شبر بسوريا ...اتقصف بيت عالية واتوفى والدها وأخوها الوحيد ... وجاءت هى وأمها مع خالتها وزوجها وأولادهم لهون للمخيمات على الحدود

بعدها ب3 أشهر إجا "عدنان" بيبحث عنها بالمُخيمات هون ... هوعارف انها هون لكن أى مُخيم ما كان بيعرف الإتصالات كانت كتير صعبة وضل شىء أكتر من أسبوعين يتنقل من مُخيم لمُخيم لحين ما من كم يوم عثر عليها هى وأهلها وطلب يدها من أمها وما إنتظروا خطبة ولاشىء ..دوغرى اتزوجوا

والحين هى معه هى وأمها بيعيشوا مع أهله بالأردن لحد ما الله يفرجها ويرجعوا من جديد ع سوريا .....

ترقرت الدموع فى عين "حنين" وهى تستمع للقصة وعلقت قائلة : الله حلوة قصتهم ... جه ودور عليها واتمسك ان ميرجعش غير ما يلاقيها ويتزوجها ...

أخرج من جيبيه منديلًا ورقيًا وأعطاه لها وهو يقول :ايه الحب الحقيقى ما بتفرقه حدود أو حروب ولا بيموت

بنبرة موجعة قالت "حنين": ايوه الحب الحقيقى مش بيموت

تأمل حديثها وهى شاردة وصوتها يأتى من أعماق قلبها وقال لها وهو يتنحنح : اممم ..انتى مرتبطة الحين.. أو مرقتى بقصة حب .. بقصد

تفأجأت من سؤاله وراحت دقات قلبها تعلو وتعلو بصوتٍ كادت أن تسمعه وأجابت بلهجة عنيفة:

وانت بتسأل ليه... دى أمور شخصية ملكش تكلمنى فيها

وهمَّت واقفة منفعلة,,أخذت الحقيبة من على الطاولة بحركة فوضوية متسرعة وذهبت مبتعدة بعيدًا

قام ورائها مسرعًا يناديها ليشرح لها أنه كان لا يقصد أن يعصبها ولايقصد التدخل فى شىء وأنه ..كان مجرد سؤال عابر منه

أما هى فابتعدت عنه وعن حديثه "فهو بسؤاله العابر فجَّرَ لغم الوجع فى قلبها من جديد ، بعدما كانت تحاول أن تتماسك وتتعايش معه " - فراحت تخطو خطوات سريعة نحو نهر العاصى واقفة على جسره تتأمل المياه المندفعة وهى تحتضن كتفيها بذراعيها وصدرها يعلو ويهبط بسرعات متتالية ... لحظات قليلة وسيل من الدموع ينجرف على وجنتيها

وهى ترى "صورته " أمامها منعكسة على صفح النهر .....

صورة تجسدت معها كل ذكريات الماضى فى لحظة ....

***

obeikandl.com

(4)

شو بيـــــبقى؟!

شو بيبـــــقى من الرواية

شو بيـــــبقى من الشجر

شو بيبـــــقى من الشوارع

شو بيبـــــقى من السهر

شو بيبـــقى من الليل

من الحب ...من الحكى

من الضحك .....من البكى

شو بيبقى شو بيبقى

شو بيبقى يا حبيـــــــــبى

بيبقى قصص زغيره

عم بتشردها الريـــــح

obeikandl.com

واقفة متسمرة فى مكانها و مياه العاصى تجرى أمامها... لا ترى أى شىء حولها سوى صورته المنعكسة أمامهاعلى صفحة النهر ،،ودموعها تنسال كسيلٍ لا يقف ولا يهدأ ... وكأن النهر ينقصه ماء لتُكْمِلَ عليه بدموعها....

أجهشت فى موجة بكاء متواصلة وكأن اللغم الساكن بداخلها أوشك على الإنفجار

اقترب منها بهدوء وربت على كتفيها ... وأعطاها كوبًا من الماء لتهدأ ...

ثوانٍ قليلة وبدأت الموجة تقل بالتدريج ...

شو اسمه ؟؟ قالها لها "باسل "وعينيه تنظران إلى الضفة الثانية من النهر

بصوتٍ متحشرجٍ مهزوم قالت: خالـــد

التفت إليها ووقف فى مقابلتها وقال وهو ينظر بعمق إلى عينيها المهزومتان كطفلٍ مكسور الخاطر : وينه ؟؟

بدموعٍ منهمرة وبجسد ينتفض أجابت : مـــات

اتسعت عينيه من هول الصدمة فهو لم يتوقع أن يستمع إلى قصة بطلها الموت ... ظن أنهما افترقا لأى سببٍ كان ..

سأل حاله : "ولماذا توقعت أنها ستحكى قصة بعيدة عن الموت ؟! ما الموت هو الحقيقة الوحيدة التى تحدث لنا فى الحياة ... وهو الواقع الذى نلمسه كل يوم حولنا .. فى أحاديثنا وفى نشراتنا الإخبارية وفى رسومات أطفالنا وفى ضحكتنا حتى فى فرحتنا الموت يتسلل من بين طيا ت الفرح وينذرنا أن نلحق ميعاد الفرح قبل أن يا خذنا قطار الموت إلى محطتتنا الأخيرة..

ويا ليت الموت كان بطريقته الطبيعية كان كل إنسان رضى بالقدر على فراق أحبابه... ولكن هذا الموت الذي يحدث حولنا هو موت الضمير الذي أصاب الجميع وحينما تأتى طلقات الغدر لاتتوقف ولاترحم أحد... فرصاصات الغدر لاتُفَرِّقُ بين غنيٍ وفقير و مسلم ومسيحى و طفلٍ وكبير وسنيٍ وشيعى و كرديٍ أو أو ..... ،، فالموت ليس له عنوان محدد ... فهو كالحوت يبتلع الجميع دون أي رحمة

ظلت هى تتصارع الاحداث برأسها كيف ستحكى لأحد عن الليل الذى يمر عليها بدون نهاية

كيف ستحكى عن روحها التى كل يومٍ تتلاشى عن اليوم الذى قبله؟؟ كيف ستحكى عن هذا الحنين الذى تتلحف به كل مساء ؟

كيف ستحكى عن قصة العمر التى انتهت فى لحظة؟

كيف ستحكى عنه وعن قصته معها لأ حد...؟

فبدفنه دفنت معه حياتها وأحلامها ،،حتي رغبتها فى الحديث عنه أصبحت مدفونة بداخلها ..يصعب علىها النطق ..يصعب علىها البوح...

فالألم يُخْرِسُ لسانها ... والوجع يمزق قلبها .. والحنين يدقدق كل يوم على باب ذاكرتها

***

لحظات ظل كل منهما شاردًا فى مملكة أفكاره .... والصمت هو اللغة السائدة بينهما .. كليهما شارد صافى الذهن، لا صوت يعلو فوق صوت "مياه العاصى المتمردة المتدفقة " حولهما

قطع صوته -حبل ذلك الصمت وهو يتسائل بحذر: انتى منيحة؟

التفتت إليه بهدوء وأومأت برأسها وقالت : الحمدلله

بنظرة تمعن فى عينها قال لها بصوتٍ رخيم :أنا ما بعرف شو أقولك الله يصبرك ويرحمه ...هو كيف مات ؟

تنهدت بعمق وترقرقت الدموع فى عينها من جديد وبصوتٍ مبحوح قالت : استشهد

متسائلًا لها : استشهد كيف ووين؟

انتفض جسدها بانتفاضة قلبها واحتضنت كتفيها من جديد بذراعيها ... لاحظ هو حالتها السيئة وانكسارها"كعصفورٍ جريحٍ لا يقوى على الطيران من جديد"

اقترب منها ومد يديه تعانق كفها الصغير وقال لها بخفوت :تعى ...استريحي بالكافيه

سحبت يديها من بين كفيه وقالت بارتباك :لا ... أنا هنا كويسة

أعاد طلبه من جديد بأن تستريح قليلًا بالمقهى ...بعد محاولتين منه رضخت لطلبه وعادوا من جديد إلى نفس المقهى ولكن بأجواءٍ مختلفة عن جلستهما الأولى

طلب لها كأسًا من العصير ..وتركها لكى تهدأ ...بينما هو يرمقها بنظراتٍ من وقت للآخر ليراقب حالتها كيف وصلت ،، امتدت يدها لكأس *العصير* ،*ارتشفت* منه بعضًا وتركت البعض الآخر مهملًا فى الكأس ...دقائق مرت وهى غارقة فى بحر حزنها ودموعها بحورًا تُغْرِقُ وجنتيها ..

مرت هذه اللحظات وهو يتأملها دون النطق بأى كلمة ..حتى استكانت روحها وهدأت قليلًا ..بادرها بالحديث قائلًا :الله يرحمه خالد ويصبرك ...كان خطيبك ولا زوجك

بوهن قالت :كان خطيبى وحبيبى ..الله يرحمه

بادرها بسؤالٍ آخر :متى استشهد؟

أخذت نفسًا عميقًا وباتت تتنفس وهى تتألم و بنبرة حزن عميق أجابت : من سنة ونصف فى يناير 2011

ارتسمت *تعابير* الحزن والأسى على وجهه وهو يستمع إليها وبادرها بسؤاله قائلًا : كيف مات كان فى تظاهرات ولا شو؟

عادت الذكريات تتدفق إلى ذاكرتها من جديد ،حاولت أن تتمالك نفسها قليلًا و همهمت قائلة :

أيام ثورة يناير 2011 .... وفى ميدان التحرير.....

****

أغمضت عينيها حتى لا تخرج دموعها مرة آخري وتتدفق كالسيل المنهمر على وجنتيها ...ولازال صندوق ذكرياتها مفتوحًا محفورًا فى قلبها قبل عقلها ...

ذكريا ت الماضى القريب تُعادُ من جديد صوب أعينها وتخرج من صندوق ذكرياتها لحظات مرت عليها تتأرجح ما بين الحب والفقد ..الفرح والحزن .. اليأس والأمل ...الراحة والوجع

لازالت تُقلب داخل صندوق ذكرياتها وأفكارها تتصارع بداخل عقله- كاللاعبين فى حلبة ملاكمة..

دقات قلبها تتزايد كلما تذكرت لحظة وفاته ...

لاحظ هو توترها وارتباكها وعلامات الحزن والوجع التى ترتسم على ملامح وجهها ... قال لها بهدوء مواسيًا : حاولى تهدى .. هيدا أمر الله وكلنا بالحيا ة زوار

أومأت برأسها فى حزن ورددت بصوتٍ يكاد يكون مسموعًا :الحمدلله .. الحمدلله

..ثم أردفت حديثها معه بصوتٍ مختنق وقالت : أنا مش صعبان عليا انه مات ..ربنا يرحمه مش كتير على اللى خلقه .. ولكن صعبان عليا إن دمه هو وكل اللى استشهدوا يروح هدر

قاطعها باسل وبصوت يتخلله لهجة ثقة وثبات قال لها: ما فى دم بيروح هدر يا حنين

اللى استشهد منشان أرضه ووطنه عمر ما دمائهم راحت هدر

يمكن اليوم أو بكره أو بعده حقوقهم ما بترجع ولكن التاريخ موجود وما هتضل بلادنا على نفس الحال

obeikandl.com

قاطعته "حنين" وبسخرية قالت له: تفتكر التاريخ موجود ما التاريخ نفسه فيه تزوير للأحداث

وتفتكر برضه بلادنا مش هتنستنى كده كتير إذا كنا إحنا فى مصر شفنا 30 سنة ما بين التهميش والفساد والظلم وفى آخر 10 سنين كإننا عايشين فى بلاد مش بتاعتنا ..كأننا فلاحين شغالين فى أرض عند ملاكها من غير رحمة أو ضمير..تفتكر مين قادر يستنى تانى 30 سنة !

واستكملت حديثها وهى منفعلة : تسوى ايه المواطن اللى وضعه على قده ممكن يلاقى نفسه فى يوم فى الشارع بره شغله علشان ايه ...علشان واحد من السادة اللى معاهم ملايين حب يضم لأسطول فلوسه شركة كمان ومش مهم اللى شغالين فيها حالهم هيكون ايه لو إتخلي عنهم

وفى لحظة انفعالها واحتقانها دقت على ذاكرتها صورة لأبيها منذ عامين مضوا فى عام 2010 الذي توفى فيه والدها

ولأن "حنين" كانت المقربة إلي أبيها وتحمل فى جيناتها الكثير من خصاله الطيبة فهى تحب الحق ونصرة المظلوم والضمير عندها فوق الجميع .. فهى ابنة "حمدى الألفى" الرجل الذى طالما شهد الجميع له بدماثة خلقه وهدوء طبعه ..كان يحب عمله كثيرًا وكان مخلصًا له متفانيًا لأقصي درجة

لازالت تتذكر انتفاضة أبيها فى اليوم الذى جاء فيه "عم بسيوني" الساعى ليقول له أن الشركة ستصبح قريبًا ملكًا لأحد رجال الأعمال المصريين وأن عدد كبير من الموظفين سيقومون بتسريحهم

انتفض "حمدى الألفى "لهذا الخبر وراح يسأل "بسيونى" عن صحة الخبر

فالخبر صحيح أكده عددٌ كبيرٌ من الموظفين بالشركة ...وسيقوم المالك الجديد بتسريح عدد كبير من الموظفين من بينهم"حمدى الألفى"

كان الخبر كالطامة "لحمدى الألفى" فالشركة لم تكن فقط مكانًا لكسب رزقه ولكنه ارتبط بها عشرون عامًا ..فكانت بمثابة بيته الثانى

فكيف لهم أن يُسّرِحوه هو وزملائه وهو لم يصل بعد لسن المعاش؟! ..وكيف لشركة تمتلكها الحكومة أن تُباع وتخصخص لرجل أعمال وكأنه بيت أو محل يُشترى ويُباع؟!

حزن "حمدى الألفى وعدد من رفاقه على هذا الخبر وقرروا زيا رة المالك الجديد رجل الأعــمال الشهير

وعند زيارته رفض مدير مكتبه دخولهما إلا بميعادٍ مسبق

أخذوا ميعادًا مرة واثنين وثلاثة ... ولا جدوى فى ذلك

إلى أن جاء اليوم الذى بدأ فيه "المالك الجديد" للشركة باستلامها ..فتوجه إليه "حمدى الألفى"وعدد من زملائه بالزيارة فقام بطردهم من على باب المكتب وقال لهم الشركة الآن ليست بحاجة لكم ..وكلًا منكم وصل له معاشه المبكر!

ولكن "حمدى الألفى" لم يُهِمَّهُ نفسه وحسب فهو يعلم أنه اقترب من سن المعاش ولكنه يأبى أن يخرج من شركته بهذه الطريقة ،، ويتألم على زملائه الصغار الذين وجدوا أخيرًا فرصة عمل لفتح بيوتهم ....

فتوجه بالحديث للمالك الجديد ولكن أبى أن يسمعه وقام بطرده

و فى هذه اللحظة شعر بالإهانة الجارحة له كما لو كان رجلًا جاء يتسول على باب هذا الثرى المغرور..

وفى لحظة انفعال قال "حمدى الألفى" لرجل الأعمال هذا : أنا مش هخرج من هنا إلا على جثتى الشركة بتاعتنا واحنا اللى عملناها وكبرناها ودلوقتى جايين تطردونا وحتى المعاش اللى بتتكلموا عنه ملاليم مش ده حقنا وفين حق الشباب اللى لسه متعين جديد هيروحوا فين وهيعيشوا إزاى هم وأسرهم ...هو الشغل مغرق البلد علشان يلاقوا كل يوم فرصة !

فَنهره "رجل الأعمال هذا" بشدة وطلب من أمن الشركة بطرده خارجًا وإلا فسيسجنه

فخرج "حمدى الألفى"منكسرًا فهو يعلم جيدًا أن رجل الاعمال هذا بمقدروه بالفعل أن يسجنه فهو على علاقات قوية بأعلى المناصب فى الحكومة

دقائق قليلة مرت بعد خروجه من الشركة ولم يشعر بنفسه إلا وهو بالمستشفى وبالقرب منه "زوجته"وابنتيه" اللتين عرفتا ما حدث لأبيهما من أصدقائه وتعرضه لارتفاع عالى فى ضغط الدم مما تسبب فى " أزمة قلبية مفاجئة "

تألموا جميعهم لماحدث ودعوا الله أن يخفف عنه وأن يحفظه لهم ,,ولكن نداء الله له كان أقوى ثوانٍ معدودة وبدأت روحه تخرج وهو ممسكًا بيد "حنين"

لحظات وغادرالحيا ة وترك ورائه حزنًا تتقاسمه أسرته

وكأن الحياة لم تكف عن صفعتها لحنين فبعد وفاة أبيها بشهور قليلة لحقه "خالد"

خالد الذى رات فيه الحب والحنان ..خالد الذى تعاهدا على استكمال مشوار حياتهما معًا

كانت تجمعهم نفس الدراسة ونفس الميول ونفس الآمال

لازالت تتذكر أثناء ثورة يناير 2011 عندما كانت هى معه فى أحدى المستشفيات الميدانية بالميدان .. ونزيف الدماء يتسرب فى كل مكان

حولهما ...فشد على يديها وقال لها بحماس : ما تقلقيش الدم ده مش هيروح عالفاضى.... بلادنا تستاهل يا حنين ..مصر تستاهل اننا نقدم لها أرواحنا علشانها ..تستاهل اننا نحطها فى أجمل صورة قدام نفسنا وقدام العالم كله

مصر ما تستاهلش أبدًا إنها تتداس ...دى بلادنا يا حنين لازم كل واحد فينا يعمل اللى عليه وأكتر

حينها قطعت حديثه وقالت له : معاك يا خالد مصر تستاهل اننا نعمل ما بوسعنا علشانها.. بس يا رب بركان الدم اللى انفجر فى كل شارع وكل بيت وكل مكان فى مصر ..يقف

كفاية شهداء ... البلد اتوجعت كتير ..كفاية..

مازحها قائلًا : مش خسارة فى بلادنا روحنا يا حنين.... وأنا لوروحي راحت فداء بلدى هموت وأنا مرتاا .....

وضعت يديها على فمه ولم تسمح له باستكمال جملته بترتها هى قبل أن يُنهيها هو وقالت بصوتٍ منفعل : ما تقولش كده ربنا يعطيك طولة العمر ونشوف بلادنا بتتغير بايدينا ونحكى لأولادنا بكره عن كل الأحداث دى ... ويكونوا فخورين بباباهم وماماتهم

بابتسامة هادئة صافية قال لها: يا رب يا حبيبتي .. وليكى عليا أول ما النظام يسقط لنعمل فرح ويكون هنا كمان فى التحرير

ضحكت ضحكة عالية مدوية وعلقت على كلامه ممازحةً : يا سلام هنا فى التحرير فرحنا .. مش ناقص غير تقولى هنسكن كمان فى خيمة من الخيام اللى هنا

تبادلا كلاهما الضحكات بصوت يدوي الميدان بأكمله ...وانقطعت ضحكاتهم على نداء استغاثة بمكبرات الصوت فى الميدان للحاجة لمزيد من الأطباء لعلاج الجرحى فلبى كلًا منهما النداء وأسرعوا إلى المستشفى الميدانى بجوار مسجد عمر مكرم

ليتفاجأوا بالعشرات على الأرض ودمائهم تسيل كبحيرة من كافة الجوانب ..حاول "خالد وحنين وبعض الأطباء المساعدين معهم " إنقاذ الجرحى والمصابين"

ولكن الطبيب تحول إلى جريح هو الآخر سيلٌ من البلطجية قادم من ناحية المتحف المصرى بالحجارة والعصى تنهال على رأس خالد وسقوط عدد جديد من الجرحى وطلقات أعيرة نارية عشوائية تحاصر المكان ..فوضى لاتعلم من ورائها وما هدفها ؟

ووسط هذه الحالة من الفزع والرعب تفاجأت "حنين" بوقوع "خالد" أرضًا غارقًا فى الدماء ..أسرعت إليه والفزع يملأ قلبها اقتربت منه تنادى عليه :خالد خالد ..خالد انت سامعنى؟

أومأ برأسه قليلًا إلى الأمام ولم يستطع أن يحرك شفتيه

صرخت حنين بصوتٍ عالٍ ونادت على عربة الإسعاف القريبة من المسجد ولكن لا أحد يسمع ويلبى ندائها

فصوت المعركة فوق صوت الجميع....صرخت"حنين"مرة تانية بصوتٍ أعلى :ساعدووووووووونى خالد بيموت

اقترب بعض أصدقائهم الأطباء منهم وحملوه إلى مسجد "عمر مكرم" فى محاولات بائت بالفشل لإفاقته

ظننًا من الجميع أنه أصيب بضربة عصى على رأسه أوما شابه

مر الوقت "وخالد كما هو فى غيبوبته" إ لى أن اقتربت سيارة الإسعاف من المسجد وحملت عددًا من المصابين ومن بينهم "خالد"

ركضت حنين مسرعةً بداخل السيا رة ويدها لا تفارق يد "خالد" وظلت تردد بعض الآيات من القرآن الكريم بارتباك ... وأثناء انغماسها فى قراءة القرآن وجدته "يشد"على يديها بضغطات متفاوتة

ابتسمت وانهمرت الدموع من عينيها عندما وجدته ينظر إليها .. وبصوتٍ متحشرجٍ قالت له :خالد انت فقت ... ما تقلقش يا حبيبى شويه وهنوصل المستشفى وهتبقى تمام

نظر إليها نظرة يعلوها الألم والوجع وأشار بعينيه صوب إصبعه .. فلم تفهم "حنين" مقصده ،فسالته بصوتٍ مرتبك : ايه يا حبيبي عاوز ايه

بصوتٍ متقطع يكاد يكون مفهوم قال لها : اااا لـ د ب لة

بدهشة قالت له حنين مالها يا خالد الدبلة

بنفس نبرة صوته المتقطعة قال لها :خليها معاكى .. ذكرى منـ.....

وضعت يديها على فمه لأسكاته وقالت والدموع تنهمر من عيناها :أسكت ما تقولش كده

انت لسه كنت بتوعدنى هنتجوز فى الميدان وهنحكى لأولادنا كل الأحداث دى

ابتسم بصعوبة وقال لها : احكى انتى لأولادك يا حنين كل الأحداث دى .. وخلى بلدهم دايمًا فى قلوبهم

قاطعته بانفعال :خالد ما تقولش كلام زى ده ....اصبر شوية واتماسك هانت شوية وهنوصل المستشفى وهتبقي كويس

ذرف دمعة من عينيه وانقطع صوته وبدأ يتمتم بكلمات غير مفهومة وقال : م ش هلحق

..... ال د ب لة - أنا – ب ح ب .....

ثوانٍ قليلة وتفرقت اليدين ووقعت يده بجوار "مقعد حنين"

***

لم تكن قصته سهلة على "حنين" وهى ترويها "لباسل " أمام نهر العاصى ،، فقصة خالد نُقِشَت على جدران ذاكرة "حنين" لم تستطع

أن تنسى أو تتناسى أى لحظة فيها ولعل الموت هو أصعب وأوجع لحظاتهما...

أنهت حديثها مع "باسل" وهى تتألم وقلبها لازال ينزف .. فبالرغم من مرور ما يقرب من العامين على موته إلا أن "حنين" لم تكف يومًا عن تذكره ... فكل دقة بقلبها تنبض باسمه ..كل إشارة فى عقلها تُشير إليه ... مع كل وجع تتألمه بلادها تتحسر أكثر على فارسها الذى مات وتتسائل هل دمائه ذهبت هدرًا؟

كانت متحمسة لموسم الحصاد أن يجنى شباب الوطن ما زرعوا من حب وتضحية لأجل الوطن ولكن لم يات موسم الحصاد بعد فالأرض أصبحت بورًا " ولا تأمل أن تجنى ثمارًا فى أرضٍ بور " هكذا هى تشعر الآن

ظلت شاردة للحظات بعد أن أنهت حديثها لباسل ..لم تفق إلا على صوت باسل وهو يسألها : هذا خاتمه اللى مسكتيه بيدك؟

فانتبهت إلى السلسال المعلق حول عنقها والخاتم المتدلى منه وهى تتمسك به بقوة وهى تروى حكاية "خالد"

أومأت برأسها وقالت: ايوه دى دبلته ... أحنت رأسها قليلًا وقبَّلَتْهَا .....

(5)

نسم علينا الهوي

نسم علينا الهوا من مفرق الوادى

يا هوا دخل الهوا ..خدنى على بلادى

يا هوا يا هوا .. يللى طاير بالهوا

فى منتورة طاقة و صورة ..خدنى لعندن يا هوا

فزعانة يا قلبى تكبر بهالغربة.. ما تعرفنى بلادى

خدنى ...خدنى.... خدنى على بلادى

"فيروز ...نسم علينا الهوى"

obeikandl.com

ربيــع أنطاكيا ،،

مر الشتاء ببرودته وعواصفه ورياحه العتية وبدأت نسائم الربيع تهل على مُخيمات أنطاكيا .. وكأنها هى الأخرى بدأت نسائم الربيع تهل على حياتها ..

فقبل خمسة أشهر من يوم قدومها إلى أنطاكيا وحتى اليوم ...كانت متخذة من المنفى سكنًا لها لا تريد أن تحكى لأحد أو تبوح عن أوجاعها ..لا تريد أن تصرخ أو تتالم كانت تبكى بصمت وكانت وسادتها هى من ترافقها لحظات أحزانها وأوجاعها.. - كان لسان حالها يقول ماذا بعد أن أحكى؟ هل سيرجع لى خالد من جديد.؟ هل سترجع بلادى إلى الأفضل ؟ هل سيقف تيا ر الدم والعنف ؟

اتخذت من الصمت والكتمان شعارًا لها وحاولت أن تبتعد بعيدًا وكانت أنطاكيا هى محطتها..

استطاع هو أن يكسر حاجز الصمت بداخلها وأن يفجر ألغام الوجع وأن تبوح بكل أحزانها .. وباحت معه بكل شىء .. ووجدت فى بوحها راحة لها .. أنزلت من على صدرها حملًا ثقيلًا كانت تخبئه وكأن لسانها كلما جائت سيرته لا تستطيع أن تقول أى شىء عنه ..فبمجرد أن تأتى صورة مقتله أمام أعينها تصاب بالخرس ....فعينها هى من تتحدث عوضًا عنها ودموعها هى بديلة الكلمات

"فثمة دموع تغنى عن مئات الجمل .. وثمة صمت يحوى بين طياته الآف المعان "

***

موعد يتجدد على نفس المقهى بجوار العاصى .. أصوات الطيور المغادرة لعششها تشد فى الفضاء .. أوراق الأشجار الخضراء منعكسة على صفح العاصى ...رائحة الورود والأزهار تنبعث فى المكان

إنه الربيع فصلٌ دائمًا يحمل بين جبعته نسائم رقيقه وروائح عطرة تفتح بابًا من الأمل فى الحيا ة

فها هى فتحت بابًا من الأمل فى حياتها ..فلم تعد سجينة أحزانها ورهينة الماضى بل حاولت كلما تأتى صورة "خالد" فى خاطرها أن تعمل عملًا هادفًا تخدم به الآخرين ...قررت أن تتذكر دومًا نصائح "خالد" وتفائله وحماسه حتى فى أحلك الظروف وأصعبها

ولعل من أخذ بيديها من جديد وحررها من سجن الماضى وأوجاعه هو"باسل"

فى لحظات جلوسها منفردة بحالها تتسائل عن الشبه بين "خالد" و"باسل"فكلاهما الحماس مسلكه ..وحب الوطن مقصده .. والتفاؤل فى أصعب الظروف شعاره

شخصتين تتشابهان فى العديد من الصفات....ومختلفتان فى ملامحهما كثيرًا

فخالد الشاب الرياضى الوسيم ذو العينان العسليتان النعساتان والشعر البنى القصير وجهه ملائكى يميل إلى البياض كان يجذب "حنين "كثيرًا ،

أما "باسل" فعيبينه المتمردة السوداء هى ما تميزه بجانب غمازة صغيرة تعتلى إحدى وجنتيه ..وذقنًا متروكة غير مهذبة ولكنها تضفى علىه جاذبية أكثر

***

على المقهى نفسه جلست هى قبل غروب الشمس بقليل فلطالما كانت هذه جلستها المفضلة فى الأيام التى لم يكن فيها ضغط عمل فى المستشفى ... فكم يأسرها مشهد غروب الشمس وانعاكس صورتها على ميا ه العاصى وهى تتحرك ببطء !!

اقترب منها بابتسامته الهادئة : أهلين دكتورة

رفعت رأسهاعن المجلة التى بيدها وابتسمت ابتسامة تتخللها الدهشة وردت التحية : أهلًا بيك يا باسل.. ما غيبتش يعنى المرة دى فى لبنان

سحب مقعدًا استعدادًا للجلوس عليه وقبل جلوسه قال لها ممازحًا: فينى أشرب فنجان قهوة معكى ؟

ابتسمت له وقالت : أكيد ..اتفضل

جلس فى مواجهتها وبنفس الروح الممازحة قال لها: يااااه ..تغيير كبير من أول مرة نقعد هون ونحكى واليوم

نظرت له وهى مندهشة وقالت بأقتضاب: تقصد ايه؟

بنظرة ماكرة قال لها بخبث : لأ.. بقصد إن بالأول ما كنتى بتسمحى إنى أقعد وأشرب قهوة ..اليوم فى تغيير كبير وسمحتى

تعثرث فى خجلها وارتباكها لثوانٍ وبعدها بادرته بسؤال عن حال أهله فى طرابلس

أجابها أن الوضع مثل ما هو لا جديد ... ولكن مايطمئنه هو ابتعاد أهله عن مافيا الموت التى أصابت بلاده

بادلها هو الآخر بسؤالٍ عن متى ستنتهى فترة تطوعها هنا؟

فأجابت الشهر القادم سأكون أنهيت فترة ستة أشهر

ارتبك قليلًا عندما علم أن فترة مكوثها هنا لن تطيل ....لاحظت هى ارتباكه وحاولت أن تتجاهل الموضوع فهو بالنسبة لها صديق لا أكثر وحتى صداقتها معه تضع عليها هى الكثير من القيود

فهى لاتريد أن تكسر الحواجز بينهما... حتى السؤال عن أهله وأحوالهم كلما سمحت له الظروف لزيارتهم فى دمشق_سوريا أو طرابلس – لبنان "لاتتعدى جملتين لا أكثر منها فهى لاتريد أن تعرف عنه المزيد؟ لاتريد ..لاتريد

فثمة خوف بداخلها كلما حاول التودد لها اكثر ومعرفة كل شيء عن حياتها يرعبها ... وكلما سمحت له الظروف لمقابلتها والتحدث عن نفسه ..تبدأ هى بموجة صد لكلامه .. تُشْعِرَهُ بأنها لاتريد أن تعرف المزيد عنه... فما شأنها؟

إنها علاقة صداقة مؤقتة كما" أسمتها هى" ستنتهى بانتهاء مدة عملها هنا

فبداخلها جرس إنذار يحذرها أن تقترب لأحد لكى لاتتورط فى علاقة تعلق بيه ... لاتعلم مصيرها بعد؟؟

***

بالقرب من أحد المخيمات وفى ليلة قمرية صافية تضيء سماء أنطاكيا فى فصل الربيع .. ترتفع أصواتهم وهم يشدون وعلى أوتار العود يدندن هذا العجوز

أصوات غنائهم تحلق فى السماء ناسين أو متناسين أوجاعهم وسارقين من الزمن لحظات تفرحهم

اقتربت قليلًا من مصدر الصوت وعلى مدخل الخيمة وقفت تتأملهم ،، فناداها من بعيد بصوته الدافئ: تعى يا دكتورة حنين ..شاركينا المغنى

ابتسمت على استحياء ..ووجدت الكثيرون ورائه يطالبونها بالإنضمام معهم ...دخلت الخيمة وهى تبتتسم ووجنتاها تتوردان خجلًا

بجانب مجموعة من الأطفال الصغار جلست ... وأذانها تستمتع إلى صوت العود وهو يُطْرِبَهَا وأصواتهم وهم يشدون ويغنـــــون :

"نسم علينا الهوا من مفرق الوادى

يا هوا دخل الهوا خدنى على بلادى

يا هوا يا هواااااا..... يللى طاير بالهوااا

فى منتورة طاقة و صورة خدنى لعندن يا هوا

فزعانة يا قلبى تكبر بهالغربة ..ما تعرفنى بلادى

خدنى .....خدنى..... خدنيييييى على بلادى"

تسلل خلف الأطفال الجالسين بجوارها واقترب وجلس على مقربة خطواتٍ منها وراح يدندن معهم ...ارتبكت من اقترابه منها وكسره لهذه المسافة التى تضعها بينهما ..حاولت أن تتماسك ولاتظهر عليها أى مؤشرات للضيق أوالإنفعال أوالإرتباك أو الخجل...

لاحظ ارتباكها وخجلها فسالها بهدوء: شو بيكى؟

زفرت بضيق : أبدًا ..مفيش

ثوانٍ قليلة وقامت وتركت المكان ..قام ورائها ..لاحظت وجوده خلفها كظلها ..فاستدرات وبعصبية قالت له : فى ايه يا باسل ؟ جاى ورايا ليه؟؟!!

نظر إليها باندهاش وقال : ما فى شىء ..انتى شو بيكي فجأة انقلب حالك..

أنا ضايقتك فى شىء؟

ابتلعت ريقها بصعوبة ونبضات قلبها تتسارع مع الأفكار برأسها وبعد فترة من الصمت أجابت: لاما ضايقتنيش ..بس لوسمحت أنا مش حابة كل شوية تكون ورايا وحواليا ... الناس هنا فى المُخيم يقولوا ايه عنى؟

أومأ برأسه وبصوتٍ هادئ قال لها :"بعتذر .. اى معكى حق ..صار لازم انتبه أكتر

مع إن أنا ما عديت حدودى فى شىء ..بس متل ما بدك"

أشاحت بوجهها إلى الإتجاه الآخر ..ثوانٍ قليلة وذهب كلًا منهما فى طريقه

وداخل عقل كلًا منهما مئات التساؤلات

هى: تعلم جيدًا أنه لم يتعدى حدوده معها...بل هو من ساعدها لاسترجاع نفسها من جديد

السؤال الذى يحيرها ويشغلها دومًا: ترى لأى سبب أنا خائف من اقترابه؟؟

فدائمًا أقابل وأصادف العديد من الرجال ولم تتملكنى رهبة القرب منهم أو اقترابهم منى مثل علاقتى معه؟!

هو: يعلم جيدًا أنها لازال قلبها معلَّقًا بخطيبها ..وهى لم تعلم بعد كل ظروفه

والسؤال الذى يحيره ويشغله دومًا: لماذا ألاحقها دائمًا؟؟

فهى لم تظهر فى حياتى إلا من أشهر قليلة وعلاقتها بى دائمًا بتحفظ ..

***

يومٌ يتلو الآخر والشهر اقتر ب على الإنتهاء ....ففى الفترة السابقة لم تسمح لهم الظروف بمقابلة بعضهما البعض أو هى التى وضعت هذه الظروف لكى لا يقترب أكثر منها ...أيامًا قليلة وستعود من جديدإلى بلدها ..

***

obeikandl.com

..يوم ماقبل السفر،،

فى هذا اليوم قررت الترجل قليلًا فى شوارع أنطاكيا تستنشق عبيرها قبل مغادرتها . أصوات الباعة تأتى من بعيد ... واللغة العربية تعلو فى هذا المكان فبالرغم من أنك فى بلدٍ غير عربية إلا أن بعض المناطق هنا بمبانيها ومحلاتها التجارية تنذرك أن هناك عربًا يتشاركون هذه الأرض

اقتربت من مصدر أصوات الباعة وانساقت وراء الأصوات فهنا يجلس رجل عربى ويقول بصوتٍ عالٍ : تعال ..قرب قرب

وأخر على بعد أمتار :يحكى باللغتين التركية والعربية

راحت تتأمل هذا السوق الطويل "الذي يطلق عليه "الطويل" نظرًا لطوله الذي.يقرب إلى 2 كم و له تفرعات على أطرافه ..سوق الطويل من أقدم وأعرق أسواق أنطاكيا تمتاز محلاتها وبضاعته بشرقيتها،،

فى هذاالسوق تجد البائع السورى المُقيم فى المدينة من سنواتٍ عديدة - قبل أن تنضم أنطاكيا إلى تركيا -وأحيانًا بعض التُجار المهاجرين منذ زمن طويل من اللاذقية أو حلب أو أدلب وفى نفس السوق تجد البائعين الأتراك ببضاعتهم المختلفة ... سوق تختلط فيه اللهجات والألوان .. ويختلط فيه التراث القديم بالبضائع الحديثة

توغلت بداخل السوق وتنقلت بين محاله وبضائعه ...وعينيها تجول فى كل مكان وهى مستمتعة إلى أن وقع نظرها عليه فى أحد المحلات التجارية ومعه أحد أصدقائه ..ارتبكت حينما راته يظهر أمامها من جديد فتسمرت فى مكانها... وهو يقترب بخطواتٍ ثابتة نحوها مع ابتسامة واثقة ثابتة وكأنه لاعب كرة يصوب كرته نحو الهدف بثبات..

بابتسامته المعهودة ألقى عليها التحية .. وبهدوئها ردت تحيته

سألها : شو عجبك السوق ؟

أجابته بابتسامة مرسومة :مش بطال ..لاحظت كتير سوريين هنا فى المحلات

ابتسم هو الآخر وأجاب : اى ..نعم كتار هون موجودين من سنوات طويلة

بدأوا يترجلون قليلًا أثناء حديثهما ... فبادرته هى الأخرى بسؤال :انت بتعمل ايه هنا فى السوق؟

ابتسم ببرود وقال لها وهو يمزح: شو أعمل.. ايلى رفيق بدو يتزوج وبيشترى بعض أغراض لبيته هون

هزت رأسها بنفس الإبتسامة المرسومة قالت له: ألف مبروك ربنا يتتم له على خير

أجابها: تسلمى ... واستكمل حديثه معها قائلًا: وانتى شو بتعملى هون بالسوق

بهدوء قالت: عادى بتمشى شوية فى السوق وبفكر أجيب لماما وأختي أى شىء تذكار من هنا

ابتلع ريقه بصعوبة وقال لها متسائلًا: اى خلص سفرك قرب

بارتباك أجابته : اه... بكره

باندهاش متسائلًا قال لها : بكرة ..هيك على طول

فضحكت ضحكة ساخرة وعلقت على حديثه : على طول ايه أنا بقالى أكتر من ست شهور هنا

فابتسم هو الاخر :ست شهور ما حسينا فيهم مرقوا بسرعة

بنفس السخرية قالت له: وانت هتحس بيهم ازاى..إذا كان وقتك متقسم بين هنا وسوريا ولبنان لأهلك

رفع حاجبيه وبابتسامة قال: ايه معكى حق

ثم أردف متسائلًا : شو بدك تشترى لأمك واختك

هزت كتفيها إلى أعلى وقالت :مش عارفه لسه ..

أى شىء تذكار بسيط مش أكتر

obeikandl.com

فأشار إليها على بعض المحلات التى تحوى هدايا تذكارية قد تنال إعجابها .. أيدت رأيه وساروا معًا صوب إحدى المحال الواقعة عند الزواية

راحت تتامل منتجات المحل بسعادةما بين إكسسوارات وتماثيل ولوحات وسجاد صغير وفضيات وبعض الأواني النحاسية الصغيرة .. حتى وقعت عينها على عقد من الأحجار باللون التريكواز أثار انتباهها مسكته بيديها قليلًا ثم تركته مهملًا ونقلت نظرها إلى أشياءًا آخرى ... انغمست فى التأمل فى هذه المنتجات التى تحمل بين طياتها عراقة وأصالة الشرق

تفاجأت به أمامها واقفًا مبتسمًا وبيديه هذا العقد الذى جذبها منذ قليل وهو يقول "بتقبلى منى هالتذكار" ..ابتسمت على استحياء ..وعلت دقات قلبها وامتزجت مشاعرها ما بين الخجل والرهبةوالقلق ....فاقترب خطوة منها... فابتعدت هى خطوات ..

تلاشت البسمة من على شفتيها وأمسكت بيديها هذا السلسال القابع بصدرها وتشبثت بهذا الخاتم بيديها وتراجعت إلى الخلف قليلًا

وبلهجة منفعلة جافة قالت :لأ طبعًا ..ما ينفعش ..ما ينفعش شكرًا ... وهمت منصرفة بأقصى سرعة

أماهو فاكتفى بالصمت ,,وتركها تذهب وتتبَّعها بنظراته المتألمة

***

فى الصباح كانت على موعد مع الطائرة للرجوع إلى بلادها ..مُخَلِّفَة ورائها ستة أشهر تأرجحت فيهم مشاعرها ...ما بين الوجع والراحة .. والألم والأمل ...الماضى والحاضر.

obeikandl.com

(6)

رجعت الشتوية

رجعت الشتوية
ضل افتكر فيى
ضل افتكر فيى
رجعت الشتوية
يا حبيبى الهوى مشاوير
وقصص الهوى مثل العصافير
لا تحزن يا حبيبى
إذا طارت العصافير
وغنية .. منسية ع دراج السهرية
رجعت الشتوية
يا حبيبى الهوى غلاب
عجل وتعى
السنة ورا الباب
شتوية وضجر وليل
وأنا عم بنطر على الباب
ولو فيى يا عينى
أخبيك بعينى
رجعت الشتوية

"فيروز ...رجعت الشتوية"

obeikandl.com

باريس من جديد،،

بدأ الصباح ينثر نوره على أرجاء "اللاديفانس" ... ساعات من الليل المتواصلة كأن الحديث فيها عن لقائهما فى تركيا منذ عامٍ مضى هو ما روته "حنين" طوال الليل إلى "دينا" حتى تسلل الصباح وتلاشى الظلام وبدأت الشمس تغازل أهل باريس بخيوطها الدافئة

على الشرفة تقف الفتاتان تتأملان من بعيد أشعة الشمس المتلألأة على صفح "نهر السين"

قطعت لحظة التأمل "دينا" بسؤالها لحنين:هو انتى ليه رفضتى تاخدى منه العقد تذكار؟

بدون أى تردد أجابت "حنين" ودون النظر فى وجه "دينا " قالت : لأن ما ينفعش رقبتى تشيل تذكارين يا دينا

نظرت إليها "دينا "وعلامات الإستغراب تعلو وجهها وبسمة امتزجت بالألم والحزن قالت لها: الله يرحم خالد يا حنين ..هو شهيد نحتسبه عند الله

ثم أردفت قائلة : بس خالد متوفى واحنا داخلين على 3 سنين تقريبًا

وايه المانع تفتحى قلبك وعقلك لغيره

بشرارة غضب انطلقت من "عين" حنين وبعصبية أجابت: لأ طبعًا فى مانع يا دينا .. أنا محدش هيدخل قلبى وحياتى بعد خالد الله يرحمه

اقتربت منها قليلًا "دينا" وربتت على كتفها وقالت بصوتٍ هادئ : يا حبيبتى محدش قالك إنسى خالد

بالعكس خالد هيفضل دايمًا فى قلبك وجزء مهم فى حياتك

بس الحياة مش هتقف يا حنين... وافتكرى إن خالد نفسه الله يرحمه كان دايمًا متفائل ..وآخر كلامه ليكى انه وصاكى تحبى بلدك وتحكى لأولادك عنه وعن كل واحد دفع من روحه علشان بلده

ارتبكت "حنين"وهى تستمع إلى حديث "دينا" وبدأت الدموع تتجمع من جديد فى عينها ..حاولت أن تتمالك نفسها ..وأخذت نفسًا عميقاً وصارت تردد بينها وبين حالها " *اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فى مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا*"

اقتربت "دينا" أكثر منها واحتضنتها برفق..فما كان إلا سيلٌ من الدموع يتدفق من عينى "حنين" أخذ مجراه على وجنتيها الحمراوتين ...

ودينا تواسيها بهدوء: اصبرى ..يا حبيبتي وربنا كريم

رفعت "حينين " وجهها من على كتف "دينا" وقالت والدموع لازالت تنهمر من عينيها : أنا مش هقدر أحب غيره يا دينا

أمسكت "دينا" بيدى"حنين" وجذبتها منهما وجلستا سويًا على المقعدين الكائنين بالشرفة وقالت لها وهى ترسم ابتسامة صغيرة على ثغرها: الحب مش بييجى فجأة يا حنين...يعنى مش هتقررى اليوم انك هتحبى... كل ما فى الحكاية أنى بقولك حاولى تعيشى وافتكرى وانتى شايله ذكرى خالد بقلبك ..أن القلب ده عاوز ينبض ويعيش ما ينفعش ندفنه ..

واستكملت حديثها : يعنى كل ما فى الأمر انك تطلعى سلم الحياة واحدة واحدة ..إفتحي باب من الأمل فى حياتك .. وارجعى حنين اللى بتحب الناس وبتشارك الناس أفراحهم وأحزانهم وآمالهم

أومأت "حنين" برأسها وقالت بوهن: بحاول يا دينا ما أقفش على الذكريا ت بس - واهو انتى شايفة جيت معاكى المنحة علشان اشغل نفسى وحياتى تستمر

دينا: صح ده المفروض اللى يحصل يا حنين ...

وما تزعليش منى إنى سألتك عن "باسل" وقلبت عليكى المواجع بعدها

هزت "حنين" رأسها نفيًا وقال لدينا بألم: لأ .. مش زعلانة وبالعكس خليتينى أفضفض شوية ..يمكن أرتاح بعدها

ابتسمت دينا وبخبث ومازحت حنين قائلة: ويا ستى ما تقلبيش أوى على باسل ... أنا شايفه الراجل بيتعامل بذوق .. افتحى المجال معاه حتى لوعلى سبيل الصداقة ..ده مش هيضرك فى شىء

بل بالعكس انتى محتاجة دلوقتى أصدقاءحولك وان ترجعى تدوبى بين الناس من جديد

ارتبكت "حنين" قليلًا من ذكر اسم "باسل" من جديد ولم تجد على لسانها أى تعليق تبوح به لدينا .. أومأت برأسها وهى مرتبكة وقالت بصوتٍ متحشرج : إن شاء لله

***

على جانب آخر ,, صباح جديد يطل عبر نوافذ "مقهى الحرية".. حركة من النشاط تعم المكان ... رائحة القهوة العربية مع وصلة أغنيا ت "فيروزية" تطمئن ضيوف المقهى ... اننا هنا فى مكان ينبض بروح أوطاننا

دخل "باسل" حاملًا "جهازه الحاسوب وبرفقته صديقه " عمار" مصور صحفى ويعمل معه فى نفس وكالة الاخبار الفرنسية ..بل هو من كان السبب فى انضمام "باسل" للعمل فى الوكالة ...فعمار يسبقه فى العمل بالوكالة منذ خمسة سنوات مضت

"عمار" الذى يتشارك مع باسل أحلامه وطموحه وحتي سنه وسكنه...

عند رؤيته للوهلة الأولى لا تعلم ماهى جنسيته ؟؟ فكل اللهجات العربية دارجة دومًا على لسانه

ولكن من يعرفه جيدًا يعرف أنه شاب من أب مصرى وأم سورية وحياته متنقلة بين عدد من الدول العربية "مصر وسوريا ولبنان " ومن فترة وهو يستقر بباريس بعد التحاقة بعمله كمصور صحفى فى وكالة الأخبار الفرنسية

جلس كلًا من "باسل وعمار" فى أحد زوايا المقهى ,,ثوانٍ قليلة واقتربت منهما "سميرة"زوجة عابد لإلقاء تحية الصباح عليهم : بنـجور

فرد الإثنان عليها التحية: بنجور.. ست سميرة ..يسعد هالصباح

ابتسمت "سميرة "وبصوتها الدافئ الحنون قالت لهما: وصباحكم شباب ..شنيا أحوالكم

باسل :الحمدلله نشكر الله

عمار: أحوالنا مش تمام يا ست الكل

بدهشة قالت لهم "سميرة" :علاش؟

بضحكته الساخرة قال "عمار" لأن محتاجين فناجين قهوة من يدك ست سميرة نظبط هالصباح

ضحكت سميرة على طريقة عمار وممازحته معها .. فلطاما كانت هذه طريقته معها دائمًا ..

و بابتسامة تزين شفتيها قالت: أنا بش نعمل لكم أحلى فناجين قهوة

عمار:تسلم يدك ست الكل

سميرة بابتسامتها الدافئة : يعيشك

***

بدأ صوت "فيروز " يتلاشى بالتدريج فى المقهى وحل محله صوت مذيع النشرة الإخبارية يتسلل من إحدى القنوات الفضائية الإخبارية عبر التلـفاز..

ساد الهدوء فى المقهى والكل آذانه مصغية إلى نشرة الاخبار..انتقل المذيع من الاخبار العالمية إلى الشأن العربى

بدأها متناولًا أخبار الوضع بسوريا بصوتٍ عميقٍ يقول :

فأما عن الشأن السورى:

-(مقتل أحد عشر طفلًا سوريًا)

ردد الجميع فى المقهى بصوتٍ يتخلله الأسى والوجع ..الله يرحمهم..

وتبادلت العبارات ما بين تأسف على حياة هذه الأطفال التى انتهت بهذه الصورة المؤلمة ومابين لعنة وهجوم على مسببى هذه الأحداث

أصواتهم باتت تتعالى وتُشْعِل المقهى بالإحتقان ... حتى جاء "عابد" وقال لهما بصوته الهادئ : اهدوا ... نسمع باقى الأخبار

اختلط أصواتهم مع صوت مذيع النشرة الإخبارية وهو يقرأ الخبرالثانى :

(*يناير موعد محتمل* للمؤتمر الدولى الخاص بسوريا"جنيف2 ..والمعارضة ترفض حضور الأسد)

نال هذا الخبر مثل سابقه نصيبًا من الجدال والنقاش المحتدم مابين مؤيدٍ ومعارض..

انتقلت النشرة الإخبارية من الوضع فى سوريا إلى الوضع فى مصر

وقطع نقاشهما صوت المذيع وهو يقول:

انتخابات مصر الرئاسية بصيف 2014

.. واستكمل المذيع قرائته الإخبارية : ومن جهتها أعلنت الرئاسة المصرية الحالية على حرصها على علاقتها المستمرة مع روسيا وتفعيل التعاون معها فى شتى المجالات...

علق "عمار" ساخرًا : مصر بتعطى أمريكا صفعة بالتعاون مع روسيا ...فتدخل "باسل" فى النقاش وقال: اى والله ..أمريكا مابدها غير هيك ..

وعلى الطاولة المجاورة علق أحد الزوار"مصرى الجنسية" قائلًا: أمريكا فاكره نفسها ولية أمرنا بس كويس أوى التعاون مع روسيا الفترة اللى جاية

قاطعهما أحد الجالسين بالقرب منهما وقال منفعلًا: احنا اللى شعوب ضعيفة بنتنظر كل شيء من الغرب .. امريكا تخلت عنا بنجرى فى أحضان دولة أخرى

قاطعه باسل منفعلًا هو الآخر: يا أخى مو معنى ان فى تعاون بين الدول يبقى احنا شعوب ضعيفة احنا بنحتاجهم وهم بيحتاجوا إلنا أكتر

فسخرالرجل قائلًا: هم بيحتاجوا إلينا كتعاون ومصالح مشتركة ولكن لايخضعون مثلنا

فتدخل"عمار" فى الحديث : المشكلة مش احنا بنحتاجهم ولا لأ يا أخى فى مصالح والكل بيبحث عن مصلحته .. ولكن المشكلة الأكبر فى الدول العميلة اللى باعت اخواتها لـ امريكا والغرب...

الجدال لازال مستمرًا،،والنشرة الإخبارية تواصل إعصارها الإخبارى عن كل البلدان العربية

انتهوا جميعهم لخبر يقول: إصابة أكثر من 50 شرطيًا خلال مواجهات مع متظاهرين فى شمال تونس و التونسيون على شفا الإنهيا ر النفسى جراء الأزمة السياسية

ساد الصمت من جديد فى المقهى .. وتمتم البعض قائلًا: الله يستر .. وآخر يقول إلى متى الدمار فى بلادنا

وثالث يتدخل قائلًا: هذا هو الربيع العربى ما شفنا غير شتاء عاصف أكل الأخضر واليابس

ورابع يقول ..وخامس يعترض ..وسادس يؤيد ...وحلبة النقاش المُحتدم اشتعلت فى المقهى من جديد "كصراع الديكة "فى حلبة المصارعة ..

هذا هو حالنا نحن العرب نتجادل داخل المقاهى ..ونتصارع فى حلبة السياسة ..ونثور داخل الملاعب .. ونهدا ونفرح أمام شاشات التلفاز حينما نشاهد برنامجًا لاكتشاف أفضل مطرب عربى ونؤيد أحلى صوت بعيدًا عن جنسيته وديانته ومذهبه وآرائه السياسية والدينية... أو تجمعنا أحداث مسلسل تركى مدبلج -هاربين من واقعنا وأوجاعنا إلى الرومانسية فى بلادً قد تُشارك فى زرع ألغام أوجاعنا من وراء الستار-،،

هكذا نحن العرب "ثائرون حد الجنون .. عاطفيون حد التعصب "..

***

باريس - ديسمبر 2013

بدأ الشتاء فى باريس قارسًاعاصفًا كأنه يقول للجميع : "ها أنا أتيتُ " بأمطاره الغزيرة وبريا حه العاصفة

مشهد لم يعتادوا كثيرًا على مشاهدته فى مصر سقوط الثلوج على النوافذ والسيارات وغُمِرَت الطرقات بالثلوج

مشهد يجذب الكثير ولكن بالنسبة"حنين" فالشتاء لها فصل العواصف والرياح المحملة بالهموم

لطالما كرهت هذا الفصل وشعرت بكآبة منه ..وما زادها كرهًا له هو ارتباط هذا الفصل بأحداث مأساوية بالنسبة لها

فالشتاء قبل الماضى كان عاصفًا لها ,تساقطت فيه أمطار الحزن من عينها ,و ارتعد فيه قلبها .واجتاحتها رياح الحزن والوحدة , , وكسى الجليد مشاعرها

فكيف لها أن تسأنس بهذا الفصل الذي حمل لها الكثير من الآلآم ؟كيف لها تهدأ وهى تتذكر

صورة "خالد" أمامها ودمائه تسيل مع أمطار الشتاء العاصفة .. وكأن السماء تواسيها على فقيدها

وقفت "حنين" تتامل سقوط الأمطار الغزيرة على نافذتها وبيدها ممسكة "فنجان قهوتها" كلما ازداد سقوط الأمطار وعلا صوت الرعد كلما ازداد تشبثها بفنجانها التى تستمد منه دفئها وهدوءها

ومن خلفها يأتيها صوت "فيروز" الصافى المخملى الذى طالما رافقها فى فرحها وحزنها ,فى أملها ويأسها

" السنة ورا الباب شتوية .. وضجر وليل .. وأنا عم بنطر على الباب.. ولو فيي يا عيني أخبيك بعيني .. رجعت الشتوية"

***

فى إحدي الأمسيات الشتوية الهادئة ..وداخل مقهى "الحرية" كان المقهى يحوى بين جدرانه ضيوفه الهاربون من برودة "باريس" إلى " دفئ " طاولات مقهى "الحرية" ...

كانوا جالسين على أحد الطاولات وأمامهما شاشة "اللاب توب" مفتوحة يتناقشون تارةً... ويرتشفون من فناجين قهوتهم تارة أخرى....

دخل كلًا من "حنين ودينا" إلى المقهى مسرعتان وعلى وجههما ابتسامة للفوز بمكان يختبئان فيه من الأمطار العاصفة بالخارج ... خلع كلًا منهما سترتهما وسارواصوب أحد الطاولات عند الزواية .. وأثناء سيرهما لمحت "دينا" باسل وعمار جالسان عند الزواية الأخرى ...

بصوتٍ عالٍ وابتسامة تعلو وجهها قالت لحنين : ايه ده ..ده باسل قاعد هناك

ارتبكت "حنين" ولم تعرها اهتمامًا وتوجهت نحو الطاولة وجلست بهدوء ...ولكن"باسل" انتبه على صوت "دينا" ..ابتسم هو الآخر ابتسامة توحى بالإنتصار ..وكأنه كان على صراعًا مع الوقت لرؤيتها من جديد... وانتصر هو وهزم الوقت ..

انتبه "عمار" لابتسامته ورفع حاجبيه مندهشًا متسائلًا : مالك ؟ايه اللى بيضحكك؟

أشار "باسل" بعينيه إلى طاولة "حنين ودينا" .. ولازال "عمار" مندهشًا متسائلًا: ايه يعنى ؟!.. مين دوول؟

بتنهيدة عميقة أجاب "باسل" : حنـــين

ضحك "عمار" ضحكة ماكرة وقال : أخيرًا ..شفتها مرة تانية .

استدار "عمار" مرة تانية وتوجه بنظره صوب طاولة "حنين ودينا" موجهًا سؤاله لباسل فى نفس الوقت:

أى واحدة فيهم هى ؟

بابتسامة هادئة وبعينين لامعتين وبنظرة ثاقبة لها وحدها شرد"باسل" فيها ,, فكيف له أن يصفها

كيف له أن يكتب كلماتٍ فى امرأة فى حضرتها تتوه كل الكلمات...

" شعرها الأسود كحصانٍ عربى أصيلٍ تُرَوِّضه داخل هذا المشبك المعدنى الصغير ولكن هذا الحصان ثائر ويأبى الخضوع فتتمرد بعض خصلاته على كتفها... وبندقة صغيرة بنية حائرة تتلألأ داخل مقلتيها كاشفة فاضحة لكلما تفكر فيه حزن كان أم فرح ، خجل كان أم تمرد

... شفاها كحبة كرز لم تُقْطَف بعد .! تخفى ورائها ابتسامة طفلة خجلة تختبئ فى حضن أمها

الكبرياءعنوانها..والوجع موطنها..والأمل هو الضيف الذى تأبى استقباله بعد

امرأة شرقية ثورتها تقبع بداخلها ولاتخرج إلا فى لحظة الثأر لكرامتها أو لوجعها ذكرياتها لها وحدها ولا يجوز لأحد التجول داخل مغارة ماضيها وأوجاعها إلا بإذنها"

قطع "عمار" شرود "باسل "ضاحكًا : انت رحت فين؟ سرحت

ضحك باسل معلقًا : لا .. ولا حاجة

ثم أردف حديثه قائلًا: ما بيصح اننا نضل ننظر اليهن هيك...تعا نسلم عليهن"

***

محاولات عديدة بائسة يائسة منه للتودد لها،،تارة تحت مسمى الصدفة وتارةً بلقاءٍ مقصود

وكالعادة التودد من جانبه والجفاء والصد من جانبها...

وكأن عينيها تُحَذِّرُ عينيه من جديد أن لا يقترب أكثر فى محاولاته المستمرة للتسلل داخل أعماقها

فأى الرجال هذا الذى لم يكف عن محاولاته لكسر أسوار عزلتها..وهدم حصون ماضيها دون استئذانٍ أو إنذار

هو لا يعلم.هل الحزن والحنين بداخلها هما السبب فى صده؟أم كبريائها ورفضها الاستسلام له هو من يحركها؟

ابتسامتها بدأت تشرق للجميع ..أما له وحده تختبئ خلف "حبة الكرز" رافضة الظهور ..

ود لو أن يقترب منها ويحطم كل هذه الأسوار المحاطة بقلبها وعقلها ..ونشلها من سرادق الحزن الذى غرقت فى ظلماته

ود لو أن يحرر هذا الحصان الأسود ويتركه يرمح ويمرح فوق كتفيها ..

ود لو يتذوق نكهة الفرح والأمل بعينيها مختلطة بحبة البندق الثائرة الحائرة الساكنة بمقلتيها..

ود لو قطف حبة الكرز وتذوقها ..ألم يأت بعد أوان الحصاد؟!

أيامًا تلت أيام ..وجرت معها أسابيع ...الفارس المحارب لازال واقفًا مشهرًا سيفه لاقتحام حصون قلبها

وهى لازالت هاربة من نفسها إلى نفسها ..

وكأن الحرب بينهما بدأت تشتعل بصمت ..

***

obeikandl.com

(7)

فــى أمل

فى أمل ... إيه فى أمل

أوقات بيطلع من ملل

و أوقات بيرجع من شى حنين

لحظة تَ يخفّف زعل

و بيذكّرنى فيك لون شبابيك

بس ما بينسّينى شو حصل

"فيروز.. فى أمـل"

obeikandl.com

جدائل ذهبية ملتوية متمردة على كتفيها وعينان صغيرتان مشاكستان وعربون صداقة تقدمه له هذه المراهقة الصغيرة المتمردة "سارة"

ألم تكن رجلًا تعشق تمرد الأنثى عليك ..ألم تكن ترغب فى عربون صداقة جديد فى حياتك

ها قد أتت إليك المراهقة المشاكسة ... للتودد اليك

"سارة"الضائعة الهاربة من هويتها العربية إلى أحضان"باريس" منصهرة فى لهجتها الفرنسية و قهوتها الفرنسية وأصدقائها الفرنسيين.. لطالما كانت تبتعد عن مجالسة والديها "عابد وسميرة"والاستماع لهم عند تحدثهما عن ذكرياتهما فى تونس وعن الأهل والأحباب

لطالما كانت إجازتها السنوية لتونس حملًا ثقيلًا عليها .. تذكر فى إحدى المرات فى زيارتها المعتادة الصيفية لأحد قرى "صفاقس"التونسية عندما نهرتها جدتها على طريقة لبسها العارية وتدخلت "عمتها أمينة" متحدثة لها موجهة رأسها صوب "عابد" وهى تحثه أن"سارة" الآن فى مرحلة مراهقة والإختلاط بالغرب ضارًا لها فمن الأفضل أن تأتى وتستكمل دراستها هنا مثل أبناء عمومتها ...

كان الحديث بين عمتها ووالدها يتصف بالتخلف والرجعية من وجهة نظر"سارة" فكيف لهما أن يتدخلا فى حياتها بهذه الطريقة الفجة ...ولكن ما برد نيران ثورتها هو دفاع أبيها عنها وتشبثه بأنها

ستستكمل دراستها الجامعية بباريس ولا أمل فى الرجوع والإستقرار فى تونس خصوصًا فى ظل هذه الظروف العصيبة...

كلام أبيها طمأنها نوعًا ما ولكن ..ما رأته بعد رجوعهما من آخر زيارة لهما من تونس فى الصيف الماضى أن أبيها تغير فى معاملتها وكأن "حديث عمتها أمينة "معه دق ناقوس الخطر فى عقله

محذرًا إياه أن ينتبه لطفلته الصغيرة فهى لم تعد تحبو الآن ولا ترقد على رجليه كالسابق هى الآن

كالعصفور الحر المتمرد تركض وتمرح دون أى قيود "إنه عمر التمرد والمراهقة"

***

لم تعلم هذه المتمردة الصغيرة "سارة" سر انجذابها السريع "لباسل" فى كل مرة يأتى فيها إلى المقهى،، فلطالما كانت الدائرة المحيطة بها من أصدقائها وأحبابها يحملون فقط الفرنسية فى ملامحهم ولهجاتهم وتفكيرهم ,لا تنكر أنها وبرغم انصهارها معهم إلا أنها كانت ضائعة

فكانت مثل من يرقص على السلالم "لا هى متشبثة بهويتها العربية المسلمة ولا هى منصهرة بالكامل فى أحضان باريس وتقاليدها "ربما كان السبب أن مولدها بباريس جعلها تعتبر نفسها فرنسية الجنسية والهوى ولكن ثمة أصوات تحذرها بأنها عربية "صوت أبيها وأمها وهم يتحدثون بالتونسية معها ...وهذا المقهى الذى تنبض الشرقية فى كل

زواياه رائحة القهوة العربية وتعدد اللهجات العربية ..حتى أصوات الموسيقى عربية وكأن أبيها أعطى لهذا المكان صكًا مختومًا بأن هذا المكان "عربى فقط "

***

شارد هو فى جهازه الحاسوب مُعلقًا نظره على صفحتها على الفيس بوك يتأمل صورها ..

كم كانت جميلة وهى ترتدى هذا الفستان الكريمى المزركش بالورود الوردية الهادئة تاركة هذا الحصان الأسود الثائر على كتفها يرمح ويتمرد بعيدًا عن هذا المشبك اللعين الذى دائمًا تقيده بداخله

وحبتين البندق *تتلألأن داخل مقلتيها،، وحبة الكرز تلمع ببريق على وجهها المضىء كالقمر*

يا الله ..كم كانت جميلة بارقة فى هذه الصور.. تحت هذا الرداء الأبيض تتألق كملاكٍ من السماء وسط زميلاتها الطبيبات ..

أما هذه الصورة فلها سحرها الخاص ،،هنا تودع خجلها وتظهر كامرأة ثائرة متمردة واثقة من نفسها وهى تتلحف "بعلم مصر" فوق كتفها وسط ميدان التحرير مع أصدقائها..

راح يتأمل جميع صورها وعلى ثغره الصغير ابتسامة هادئة..لم يقطع ابتسامته سوى رؤيته لهذا الرجل الهادئ الملامح هوالآخر يتلحف

"بعلم مصر " وعلى مقربة خطوات منها ويده موضوعة بكل ثقة على كتفيها

راح يقلب فى الصور صورة تلو الأخرى وكل صورة يظهر هذا الرجل ذو الملامح الهادئة

وهاهى صورة آخرى لهما تجمعهما وهما يرتديان هذه المعاطف البيضاء وسط ميدان التحرير

لايعلم لماذا شعر بالغيرة وهو يشاهدها على مقربة خطوات من هذا الرجل؟!

لايعلم لماذا شعر بالغيظ منها وهى تبتسم وتمرح كالأطفال فى هذه الصور وعلى العكس معه لم يرى سوى حزنها وضجرها بل الأكثر عصبيتها وثورتها الدائمة عليه..؟!

الغيرة بدأت تتسلل لجسد هذا المحارب الباسل ممن؟ من ذاك الخالد الذى احتضنه تراب الأرض ولم يعد خالدًا فقط سوى فى خيالها ..

فكيف له أن يغار من رجل أصبح القبر موطنه ؟

تساؤلاتٍ عديدة تتصارع داخل رأسه لم تستوقفه منها سوى اقتراب هذه الغزالة الشاردة نحوه بابتسامتها المتمردة وهى تحدثه قائلة:

Que faites-vous, ma chère?

على عجالة أغلق جهازه الحاسوب ..وبإبتسامة ساخرة قال لها: شو يا سارة ما بدك تحكى عربى ولا شو ؟

ضحكت ضحكة رجت المكان وهى تداعبه وتقول له إننى أعلم أنك تتقن الفرنسية فلم نتحدث بالعربية.؟

بنفس الإبتسامة الساخرة داعبها قائلًا: لأن أنا وانتى عرب وهذا مقهى عربى ولو ما حكينا هون عربى ..أبوكى سيطردنا برات المكان

ضحكات عالية وعبارات ممازحة تبادلها كلًا منهما مع الاخر..

لم ينكر أن تلك الغزالة الشاردة المراهقة المشاكسة تُشْعِرَهُ بمذاقٍ خاص بروحها المرحة ونظراتها المشاكسة تارةً يراها طفلة صغيرة وتارة يراها مراهقة تغدو لكى تصل لمنزلة النساء..

وهى الأخرى بدورها لم تنكر أنها لأول مرة تجد متعة فى الحديث مع عربى وبلهجتها العربية ..لا تعلم سر انجذابها له هو وحده..

يومًا بعد يوم بدأت تقلل من جلوسها وخروجها مع سرب الحمام الفرنسى الذى رافقها فى كل مكان- الجامعة والمقاهى والرحلات- وبدأت تغرد وحدها خارج هذا السرب معلنة انضمامها لسربٍ آخر يجذبها إليه كمغناطيس

إنه "سرب باسل ولاغيره"

***

لم يقطع سيل أفكارها الشاردة سوى ضحكة عالية من "دينا"وهى تقول :عمار ده مش سهل بعتلى مجموعة فيديوهات مضحكة وقعتنى من الضحك

استدارت "حنين" وحدثتها مستعجبة : هو انتى بتكلمى عمار فين؟

بضحكة ساخرة أجابتها :بكلمه فين ازاى يا حنين ؟! أنا مش قايلة ليكى من أسبوع إنه ضافنى على الفيس بوك وبنتكلم

بتنهيدة هادئة قالت "حنين" :ااه طيب انتبهى يا دينا احنا جايين هنا للدراسة مش للهزار

نظرت لها دينا بضيق وقالت لها وهى تتأفف: هو يعنى إن يكون ليا أصدقاء ده هيعطل دراستى؟ ما إنتى عارفانى بدى لكل حاجة وقتها يا حنين ...ثم عمار شاب كويس أى نعم غلباوى شوية بس محترم وجدع ودمه خفيف

بنظرة ساخرة رمقت بها "حنين " " دينا " وبصوتٍ هادئ قالت لها : وانتى لحقتى تعرفى انه محترم وجدع فى إسبوع يا دينا !!

بضحكة طفولية أجابت "دينا" : يا بنتى أنا ليا نظرة فى الناس

ثم يعنى هو هيخفطنى ،، اهو مجرد أصدقاء وبندردش

وأردفت حديثها ممازحة :أنا مش خوافة زيك يا حنيـن

وقفت حنين متأففة وقالت بنبرة حادة :خوافة .؟؟ ! قصدك ايه بقى يا دينا؟

بهدوء ماكر قالت دينا: يا ستى ما أقصدش ثم فكيها شوية .. يعنى ما فيهاش حاجة لو كلمتى "باسل" على الفيس بوك مش هياكلك يعنى ،، وكمان ما فيهاش حاجة تخليكى كل ما نقابله فى مكان تمشى بسرعه أو تردى بعصبية عليه هوعمل ايه لكل ده !

بعين تشتعل بالغيظ والغضب قالت "حنين" : انتى بتساليني بعد كل ده عمل ايه؟

انتى نسيتى اللى حكيته ليكى عن "تركيا"ومحاولاته انه يقرب منى بطرق مستفزة وآخرها موضوع السلسلة اللى كان عاوز يلبسها ليا!

اقتربت منها " دينا " بهدوء وربتت على كتفيها وقالت بنبرة حانية: مهو انتى كان دائمًا ليكى أصدقاء يا حنين وبتتعاملى مع الكل بذوق اشمعنى ده ؟!

وعلى فكرة هو ما عملش شىء غلط ولا قلل من احترامه ليكى...حتى موضوع السلسلة اللى بتقولى ضايقتك هو شاف إنها عجبتك وجابها على سبيل التذكار

واستكملت حديثها بنفس الهدوء قائلة : تعرفى يا حنين المشكلة فى ايه؟ المشكلة مش فى سلسلة "باسل" المشكلة فى سلسلة"خالد" اللى

انتى لابساها من سنتين ومقيداكى ومقيدة الماضى جواكى ومش عاوزة تخرجى من الدايرة دى...

انتفضت"حنين "لكلام "دينا" فهاهى تمس وترًا حساسًا فى حياتها ..تركت العنان لدموعها تنهمر دون توقف وهى تستمع لكلام "دينا" وهى تستكمل حديثها وهى تقول :

تعرفى كمان يا حنين ان المشكلة مش فى إنك تقبلى الصداقة مع باسل ولا لأ.. والدليل انك بتكلمى"عمار كويس وبتهزرى معاه..وبتكلمى"عابد " وبتهزرى معاه..وبتكلمى زمايلنا فى الدراسةوبتقبلى هزارهم إلا "باســـل"

خايفة تهزرى معاه ..خايفة تتجاوبى معاه .. خايفة من نظرته ليكى.. خايفة من تلميحاته...خايفة من قربه..خايفة انه ييجى فى يوم ويقولك "بحـبك"

انتفاضة آخرى اجتاحت جسدها وهى تستمع إلى"دينا"وبصوتٍ متحشرج تحاول جاهدةً أن تخرجه قالت : بحبك؟!!! ايه الكلام اللى انتى بتقوليه ده يا دينا ..ما يقدرش أصلًا يقول كلمة زى دى

بابتسامة هادئة قالت" دينا": لأ ... من ناحية يقدر هو يقدر أوى ..ولكن انتى اللى مش بتسمحى بده

بعصبية قالت" حنيـن"وهى تلملم خصلات شعرها المتمردة على كتفيها: ولا ..هسمح

ولا هسمح يا دينا لباسل أو لغيره ..

وأردفت حديثها بنفس النبرة العصبية النارية: كلمة "بحبك " دى كانت من نصيب راجل واحد بس والراجل ده راح ولكن قلبى لسه معاه ما راحش ولاهيروح لحد غيره

لم تشعر بنفسها إلا وهى غارقة فى دموعها ومحاولات "دينا " البائسة للتهدئة من روعها تارة ... والإعتذار تارة آخرى لما قالته وفتحت بيدها جرحًا لم يطب بعد فى قلب صديقتها ..

***

بعض الكلمات تكون بمثابة "جرس إنذار" لنا أن نفسق أن نرجع إلى أرض الواقع ..ولربما كانت لكلمات "دينا" فى هذه الليلة سحرٌ خاص على أذن "حنين" فبالرغم من وجَعِها من هذه الكلمات إلا أن هذه الكلمات كان لها "صدىً لأسبوع " تَدق على عقل "حنين"

وراحت تتسائل بينها وبين حالها وتقول: (ولم لا ؟ولم ارفض صداقته؟

،، يمكننى أن اقبل صداقته مثله مثل الآخرين .. خوفى وهروبى منه يشعره اننى خائفة من أن يقترب ويُلَمّح لى بإعجابه بل بحبه ربما كما قالت "دينا"... لا ،، لن أسمح له أن يعتقد أننى خائفة منه أو هاربة منه .... سأسترجع شجاعتى وأتعامل معه كالجميع بثقة وكبرياء

فهو صديق لا أكثر ولا أقل وإذا فكر فى التجاوز فأنا بيدى سانهى ذلك

أنا لست خائفة من اقتراب أحد ... لأن لا أحد يستطيع أن يهزم قلبى من جديد..

فتحت جهازها الحاسوب وعلى صفحتها على موقع الفيس بوك نظرت للحظات إلى طلب"الصداقة "المعلق من إسبوعين مضوا" بأسم "طائر الوراور" وبين قوسين "باسل الحلبى"

ترددت للحظات ..هل ستقبل الصداقة ومعها ستقبل التحدى ..فلا هى المرأة المنكسرة الخائفة..ولاهو الرجل الذى يستطيع أن يجتاح مشاعرها "كما تعتقد"

لحظات مرت ...ووجدت نفسها تضغط على "خانة" تأكيد الصداقة

قبلته ضمن قائمة أصدقائها...قبلته بكل رضى أن يدخل صفحتها ويتجول فى صورها وكلامها ويعلق براحته ... بل بهذا القبول قبلته فى حياتها أيضًا تحت مسمى "صديق"

***

شرود قليل وهى تتجول بين ذكرياتها على صفحتها على الفيس بوك تخطفها بعض الصور وتتأمل البعض الآخر...لم تفق من هذا الشرود إلا على صوت رسالة آتية فى صندوق رسائلها على صفحتها

فتحت الرسائل ووجدتها معلنة عن اسمه "طائر الوروار"

ترددت للحظات فى فتح رسالته ..وبعد دقائق مرت قررت فتحها..

كلمة واحدة منه رفعت على إثرها حاجبيها من الدهشة

"مبـروك"

كانت كلمته التى أثارت دهشتها .. فتوجهت بالكتابة مستفهمةً عن مقصده وذيلت جملتها بالعديد من علامات الأستفهام :؟؟؟؟؟؟؟؟

جاءها الرد منه سريعًا وكأنه كان ينتظر سؤالها على أحر من الجمر أجاب: مبروك علىَّ أنا قبولك لى ضمن قائمة أصدقائك على الفيس ..وانتهاء الحرب

لا زالت الدهشة تتملكها من ألغازه التى يطلقها فى عباراته وضعت كلمة "الحرب " بين قوسين وأرسلتها له مذيلة بعلامة تعجب"!"

ابتسم بسخرية ولمعت عينيه بشقاوة وقال لها : نعم "الحرب"..

ألم تلاحظى أن الفترة الماضية كل حديثك معى كان إطلاق نيران وقذائف فى وجهى ..واليوم قبلتِ صداقتى .فإذًا انتهت الحرب بيننا

خجلت للحظات من عباراته وتسائلت بينها وبين نفسها :هل أنا كنت قاسية لهذا الحد معه ؟

أم أن قسوتى كانت على نفسي وترجمتها فى ردود أفعال معه ؟

أسئلة حلقت من جديد فوق رأسها ..لثوانٍ قليلة

بأبتسامة هادئة كتبت: لم تكن حرب معك .. بل كانت حربًا بينى وبين نفسى ..وأنت تعلم

" أعلم" كتبها هو بثقة وأضاف اليها: أتمنى أن تنتهى الحرب بداخلك وأن تنعمى بهدنة لكى تستأنفى حياتك بسلام

بنفس الإبتسامة الهادئة ممزوجة بتنهيدة عميقة كتبت هى: وأنا أتمنى ذلك ..ربنا كريم

دار حديثًا طويلًا بينهما ذكرها بتلك المرة فى "أنطاكيا – تركيا " التى باحت له فيها عن أوجاعها واستطاع هو أن يفجر لغم الوجع بداخلها وأن تفتح له خزينة ذكرياتها المؤلمة

كان هذا الحديث اليوم ممرًا للعبور لصداقة أعمق مما كانت تتصور هى .. لا تنكر راحتها فى الحديث والبوح معه

جسرًا مشتركًا يلتقيان عليه- أوجاع أوطان ..غربة ..حنين.. تمرد .. وأخيرًا الأمل الذى يزرعه هو فى تربتها التى أبت أن تستقبل من قبل أى بذور للأمل أو الفرح

***

على جسرٍ آخر تحاول "الغزالة الشاردة" "سارة" أن تلتقي به - تحت شعار "الصداقة"

غزالة تائهة ضائعة فى عمر المراهقة بدأت صداقتها معه من داخل مقهى"الحرية"تستكملها يومًا تلو الآخر عبر الهاتف وتواصلها على "الفيس بوك"

صداقة انتشلت هذه الغزالة من ضياع الهوية واللغة فكان هو مرشدها إلى لتجد نفسها وسط هذه الحالة من التوهان التى ضاعت فيها ,, استغنت عن الجميع به

أُعجِبَت بكلماته ،نظراته ، مزاحه، ثقافته ..كل مافيه أثار إعجابها ولم لا فهو "باسل" الباسل .. محط إعجاب الكثيرات فلا يصعب على هذه الغزالة الشاردة أن تركض نحوه مقدمةً "صك الصداقة معه"

صداقة بدات فى الأيام الأخيرة تقلقه هو ،، وتبهرها هى "سارة"

فهذه المراهقة المشاكسة الضائعة بدأت تسحب صك الصداقة منه وتقدم بدلًا منه صك الإعجاب به والتعلق و..... ربما الحب !!!!

***

على جهة أخرى يلتقي طرفان عبر الهاتف تارة وواقعهما الإفتراضى تارة ومقهى الحرية تارة أخرى

"دينا" و"عمار" علاقة صداقة بدأت من اللقاء الأول قاربت على شهر ..يتشابهان كما تقول لها دومًا"حنين" أنتما طائشان مندفعان متسارعان ولكنكم تتمتعان بخفة ظل تستهوى الجميع...

فأمام الشاشات يجتمع جميعهن والكل فى ملكوته .اثنين من المشاغبين يتعاملان مع بعضهما البعض بشفافية وطفولة ، " عمار ودينا" يتشاركان علاقة مشاغبة المرح والهزار شعارها

هوية علاقتهما "نحن صديقان" ،صداقة كليهما متأكدٌ من فحواها

أما هنا أمام"المتمردان" علاقة بدأ تحت"مسمي صداقة"ولكن"الباسل المحارب"لايستسلم شاهرًا سيفه نحو"حصون "الأميرة المتمردة" لايكتفى فقط بصداقتها ،،فثمة مشاعر آخرى بدأت تتغلل داخل ثنايا قلبه والأميرة لازالت مُحصنة داخل قلاع ماضيها لاتريد أن تستسلم لإشارات إعجابه التى يرسلها لها عبر محادثتهما ..

شاردةً هى"حنين" وهى تقرأ آخر ما كتب هذا الباسل على صفحته على الفيس بوك كلمات اقتبسها من أحد قصائد "نزار قبانى" - نزار ملهمه ، وشغفه الدائم

***

"مرهقةٌ أنت ..وخائفةٌ وطويلٌ جدًا ..مشوارى"

هى تعلم أنه يستخدم طريقًا غير مباشرًا أحيا نًا ليوصل لها ما ود أن يقوله - فمحاولاته لإبداء الإعجاب بها تصدها هى ..فالهرب دائمًا طريقها لكى لا تغرق فى بحر كلماته

ظلت "تقرأ عباراته المقتبسة من شعر"نزار قبانى"

مرات ومرات "*مرهقةٌ أنت ..وخائفةٌ وطويلٌ جدًا ..مشوارى"*

شاردة فى العبارة متسائلة بينها وبين حالها ماذا تقصد بمشوارك الطويل "باسل" وإلى أين تود أن تصل؟

أفاقت من شرودها على صراخ صديقتها الطائشة أحيانًا المرحة دائمًا "دينا" وهى تقول : على الساعة أربعة كده يا حنين

تنهت"حنين"لحديثهاوبتعجب سألتها:هو أيه اللى الساعة أربعة يادينا؟!!

ضحكت "دينا"بسخرية وبنصف عين قالت لحنين: لأ واضح انك كنتي سرحانة بقي

ابتسمت حنين بهدوء فى محاولة لاستعادة ارتباكها الذى أحدثته "دينا"بضحكتها وقالت لها: لأ كنت بقرأ شويه .. هاه يا بنتي مش هتقوليلى ايه اللى الساعة أربعة

obeikandi.com

-دينا بحماس : الساعه أربعة باسل وعمار عازمينا بكرة على الغداء وخروجة حلوة كده

تعثرت من جديد "حنين"فى ارتباكها فهى لاتريد أن تتواجه معه وجهًا لوجه لاتعلم لماذا بعد كل لقاء بينهما يثير غضبها تارةً وخجلها تارة آخرى ..

فاللقاء معه من خلال "الفيس بوك" وسيلة أريح لها ،تتحدث على راحتها ، ولا تظهر أمامه مرتبكة ،حزينة،خائفة ،خجلة،مبتسمة ،أو حتى متمردة الصفةالتى باتت تلازمها فى لقائاتهما مؤخرًا فكأنها أصبحت تسترد من جديد"حنين"الكبريا ء والتمرد

بتلعثم قالت : لا .. أنا مليش رغبة للخروج بكرة يا دينا

دينا بغيظ : هو انتى قررتى من دلوقتى انك ملكيش رغبة بكرة ..مش ممكن بكرة تغيرى رأيك

-مش هغير رأيى ..وأصلًا كفاية علينا كده خروج معاهم

واستكملت حديثها وهى على نفس وتيرة الإرتباك :احنا مش جايين هنا نتسلى ونخرج ..جايين نخلص منحتنا ونرجع بلادنا بسلام

دينا وهى تنظر لها باستنكار وبضحكة ساخرة :مالك فى ايه ؟ كل ده عشان عزومة غداء

...ثم ايه قصة كفاية علينا خروج معاهم ! هو احنا يعني خرجنا كام مرة هما بس مرتين

وبقالنا أسبوعين ولا خرجنا ولا شفناهم

"أسبوعين" بالفعل لم يلتقيا والسبب دائمًا هى .. لا تريد الإحتكاك به عن قرب ..وحتى المقهى الذى يجمعهما قللت من الذهاب إليه .. وكأنها فقط وضعت "صداقتهما" فى دائرة الإنترنت لا غير ..فهى تخشاه دائمًا أو ربما تخشى نفسها من الإنجراف فى تيار .. لا تعلم ما سره ؟ وماسر تحليقه الدائم فى سمائها

لحظات بين تصميم"دينا"على قبول عزومة الغداء..ورفض "حنين"هذه العزومة بحجج تراها "دينا"واهية

وتحت الإصرار قبلت "حنين" العزومة ..

***

obeikandl.com

(8)

راجعين يا هوى

راجعين يا هوى راجعين

يا زهرة المساكين

راجعين يا هوى على نار الهوى

راجعين يا هوى راجعين

منودع زمان ما نروح لزمان

ينسانا على أرض النسيا ن

منقول رايحين منكون راجعين

على دار الحب ومش عارفين

آه راجعين يا هوى على نار الهوى

"راجعين يا هوى...فيروز"

obeikandl.com

لقاء فى المونمارت

الشمس اليوم قررت أن تغازل سماء باريس معلنة تحديها لديسمبر البارد ،دفءٌ يتسلل وينتشر فى كل مكان لا يقل عن دفء هذا اللقاء .. لقاءٌ انتظره هو دام أسبوعين ..أسبوعين لم يلتقيا إلا من خلال محادثات طويلة عبر واقع افتراضى "فيس بوك" .. لا ينكر هو أن هذه المحادثات قرَّبت كثيرًا بينهما ،تبدلت بالتدريج شخصيتها .. انتهت الحرب بينهما وقرعت قبول "الصداقة "بينهما ولكنها صداقة لاتطلق عليها هى كما أطلقت عليها من قبل فى "أنطاكيا" "صداقة مؤقتة " ، بل هذه المرة هى تشعر بأنها صداقة ستدوم وتدوم ..هذا ما جعلها تخشى هذه الصداقة ...فإلى أى الطرق ستصل بها هذه الصداقة؟

فوق ارتفاع "هضبة المونمارت" وبالقرب من أعرق واكبر كنائس باريس حيث التاريخ يغازل جمال الطبيعة "كنيسة القلب المقدس" ..إطلالة بانورامية جميلة تشاهد من خلالها سحر باريس أمامك

كان هنا مكان اللقاء ..سلام ..ارتعاشة يدين نظرات هاربة منها وصائبة منه ..لقاء هذه المرة اختلف عن أىَّ لقاءٍ جمعهما من قبل ..لقاءٌ ابتعدت فيه هى عن غضبها وحزنها الملازم لها وثورتها .. وتخلى فيه هو عن مشاكستها وجرأته ... فكليهما اليوم "ساكنٌ ..هادئٌ " ارتعاشة يد عند السلام جعلته يشعر أن هناك أملًا مع هذه الأميرة المتمردة

ونظرة عين مقتحمة منه لها جعلتها تشعر بأن هذا الفارس الباسل لم يستسلم بعد

"مونمارت " التى جمعت على ساحتها أحلام الكثيرين أمثال " فان جوخ وسلفادور دالى وبيكاسو - "اليوم تجمعهما من جديد على ساحتها فهل سيتحقق حلمه اليوم وستقبل هديته؟

وهل سيكون هذا اللقاء جسرًا لعلاقةٍ أعمق بينهما ..ولم لا "قالها هو بينه وبين حاله" فهى فى الفترة الأخيرة بدأت تُزِيلُ حاجز الصمت بيننا وسمحت لى بالإقتراب من حياتها وبدأت نبرة الحزن تختفى بالتدريج من حديثها ... وباتت عينها تلمع له ..

نظرات عينيهما تحمل الكثير من الإشارات هو شغوف برؤيتها وكأنه طفلٌ صغير أعادوه إلى أبويه وهى حائرة خاجلة لاتعلم أى الطرق ستسلك وأى المحطات سيصل بها الحال

لكن ماتعلمه جيدًا أنها خائفة أن تضع الأمل مجدداً على خارطة حياتها..فقد سبق ووضعت الأمل عنوانًا عريضًا يزين أحلامها ولكن بائت كل أحلامها بالفشل .. الأمل فى أن تحيا من جديد وأن تعشق وتُعْشَق

ولكن ثمة صوتٌ داخلى يحفزها بأن تستمر مع باسل لا تعلم ما سره وما سببه؟؟

صراعٌ داخلي يدور بين عقلها وقلبها ..وعلى الطرف الآخر هو شاردًا واقفًا يتأمل شردوها هى الأخرى وبنظرة تتخللها ابتسامة صغيرة تزين ثغره هز رأسه إلى الأمام وقال لها بهدوء :كيفك؟؟

الحمدلله قالتها هى وهى متعثرة فى ارتباكها وخجلها وحيرتها ولسان حالها يقول بينها وبين نفسها :هل تسألنى :كيفك؟ وأنت تعلم بهذا الصراع الذى يجتاُح عقلى وقلبى الآن ..

لحظات قليلة من الشرود والخجل والحيرة وتساؤلات عديدة تدور فى رأس كلاً منهما ,قطعهما صوت "عمار"وهو يقول :احنا هنفضل واقفين كتير يلا بينا على المطعم ..أنا جعت

ابتسم لها "باسل" وقال له ممازحًا: إنت ما فى شىء بيشغل بالك بالدنى غير الأكل

بمرح رد"عمار" هو فى حد بيقول للأكل لأ ..برضة

ضحك باسل وغمز له وقال : أوكى اسبقونا انت ودينا وأنا وحنين بنيجى وراكم

ارتبكت "حنين" من كلامه وسألت مستنكرة :وليه ما نروحش معاهم؟!

ابتسم "باسل" وبهدوء ساخرًا قال لها : ما تخافى أنا ما هخطفك ولا شىء ... كل مافى الأمر بدى أفرجيكى شىء بالأول

مضى "عمار ودينا"فى طريقهما إلى المطعم .. مخلِّفين ورائهما "حنين" والتساؤلات تحتدم فى رأسها

دينا أوعي تكونى لمَّحتي لحنين شيء عن مفأجاة اليوم ..

- بسرعة أجابت دينا: لأ طبعًا ما لمحتش لها بأى شيء يا عمار ...هى أصلًا ناسية إن النهارده عيد ميلادها

عمار: كويس إنها مش فاكرة ويا رب بس تبدأ تميل شوية لباسل

بحيرة تسائلت "دينا" :هو فعلًا باسل بيحبها يا عمار ولا يكون مجرد إعجاب أو حابب يخرجها من جو الحزن اللى هى فيه؟

-لأ يا دينا باسل بيحبها فعلًا هوعارف هو بيعمل ايه كويس ... ثم موضوع الحزن اللى حنين متقوقعه فيه مفروض خلاص تبدأ تعيش حياتها الحى أبقى من الميت ودى سنة الحيا ة

-والله يا عمار أنا حاولت معاها كتير بس هى الحمد لله الفترة الأخيرة بدأت تعيش الواقع ..بيكفى انها قبلت صداقة "باسل"

ثم أردفت حديثها قائلة بمزح :ده أنا بدات أغير من "باسل" بقت تقضى معظم اليوم فى الكلام معاه على النت ..

ضحك "عمار" وقال لها مداعبًا: وليه تغيري مانتى بتكلمي معايا كل يوم

ابتسمت "دينا" وقالت ممازحة : على رأيك ....المهم بس يا رب "حنين" تعجبها المفاجأة بتاعت "باسل"

على الجانب الآخر يترجل الإثنان بهدوء والصمت هو سيد الموقف ...نبضات قلبها تكاد تكون تسمعها وتساؤلات تدقدق على رأسها .. عينان شاردتان تتأملان المارة ...

وهو يتلذذ بالنظر إليها وهى مرتبكة حائرة وعلى ثغره ابتسامة هادئة ساخرة ...

التفتت إليه لتسأله إلى أين نحن ذاهبون؟!..فلمحت ابتسامته الساخرة ,, نظرت إليه بتمعن وبلهجة متوترة تسائلت : هو انت بتضحك على ايه ؟؟

ضحك ضحكة مدوية مداعبًا ذقنه بيديه قليلًا قال لها ممازحًا :بضحك عليكى

جزَّت على أسنانها بغيظ وقالت : وايه بقى اللى بيضحك فيا ؟؟!

التفت إليها بهدوء وبنبرة هادئة سألها متعجبًا: هو انتى ليش دايمًا معصبة؟

ابتلعت ريقها وأشاحت بوجهها إلى الإتجاه الآخر وعلى استحياء قالت:لأ مش متعصبة بس انت غريب أوى النهارده وأنا مش فاهمة احنا رايحين فين؟

نظر إليها مبتسمًا وقال بهدوء: خلص مو راحين احنا وصلنا

نظرت حولها إلى ساحة تعج بالرسامين فى حى مونمارت الشهير بأزقته الضيقة ومقاهيه المنتشرة فى كل أرجاءه حىٌ يتنفس فنًا وعشقًا ...

بفرحة قالت حنين : الله ..جميل المكان ده كنت بسمع عنه من زمان وكان نفسى أزوره

ابتسم لها باسل وقال مداعبًا :الحمدلله إنه عجبك ..شفتى بقى اللى بيسير ورا باسل ما بيضيع ..

بعرف انك بتحبى الفن وبالخصوص الرسم قلت هعجبك

ابتسمت "حنين"على استحياء وتورد وجهها خجلًا وقالت له : ميرسى انك جبتنى هنا ..

بابتسامتها الطفولية أشعلت قلبه فرحًا فاقترب منها هامساً وقال : ع فكرة شكلك بيتغير خالص لما تضحكى

همهمت قائلة: ازاى يعنى ؟

نظر لها وتابع :يعنى ما بتضحكى الدنيا كلها بتضحك معك وجهك بيورد وعينك بتلمع لكن ما تتعصبى أجارك الله

ابتسمت بخجل لثوانٍ وبعدها بنبرة غضب مصطعنة قالت :بقى كده يعنى أنا بيكون شكلى وحش وأنا متضايقة؟!

اقترب منها ممازحًا : لا انتى بكل الحالات بتجنى ..بس هالعيون بيلبق لها الضحك أكتر

نظرا إلى بعضهما البعض فى صمت ..فتابع هو على الفور قائلًا : يللا .. احنا الحكى هياخدنا هيك

نظرت له مستفهمة :تقصد ايه؟

أمسك *يدها* ثم *سحبها* معه بلطف نحو أحد الرسامين ,, ارتبكت هى من ملامسة يدها يده وقالت بارتباك :باسل ...يدى

أرتبك هو الآخر وترك يدها تغادر يده كعصفور هارب من عشه ...استدرك الموقف قائلًا:يلا يا دكتورة اليوم بدنا نشوف أحلى بورتريه إلك

تورد وجهها خجلًا وقالت : أنا ..هترسم

لأ انت بتهزر طبعًا

ابتسم ساخرًا وقال لها: وليش ما تترسمى ؟!

تنهدت بعمق وقالت :لأ .. لأ يا باسل شكرًا مش حابه أترسم

نظر إليها بعينين مشاغبتين وبلغة حازمة قال لها : لأ هتترسمى يا حنين...

اتسعت حدقة عيناها ولم تتمكن للحظة من الحديث ، ثم أستجمعت قواها وقالت : ده ايه بقى هو آمر

باسل مداعبًا: اه هيك شيء أمر

تأملت نظراته للحظات وشردت قليلًا فى طريقته معها وبينها وبين حالها تتسائل: من تكون أنت لتعطينى أوامر يا باسل؟!

قطع شرودها صوته وهو يتحدث مع الرسام ويتفق معه على رسمها ...ثوانٍ قليلة وتوجه إليها باسل مشيرًا لها إلى المقعد لكى تجلس

نظرت له مندهشة من طريقته وقالت بسخرية : هو تحدى ولا ايه

غمز لها وقال مازحًا :نعم تحدى ..وأنا قبلت التحدى

رفعت حاجبيها وقالت داخلها: طيب يا باسل لما نشوف آخر التحدى ايه؟

ثم قالت بتحدي:ماشى موافقة اترسم

ضحك هو ضحكة مدوية وقال لها: ما كان من الأول

نظرت له وبنبرة ثابتة : ماشى هيجيلك يوم برضه

ابتسم ساخرًا وقال لها مداعبًا هامساً :بتمني

ثم اقترب قليلا منها وقال بها بخفوت :بتسمحى فى شىء لازم أعمله الأول قبل ما تترسمى

نظرت له بتعجب متسائلة: شىء ايه ؟

اقترب قليلًا من شعرها ملامسًا إياه برفق محررًا هذا الحصان الأسود القابع داخل هذا المشبك الصغير

تعثرت هى فى إرتباكها وتسمرت للحظات لم تعلم ماذا تقول أو ماذا تفعل ...وسط ارتباكها انتبهت على صوت الرسام وهو يشير لها معلقًا مؤيدًا ما فعله باسل

ثوانٍ قليلة واستسلمت لريشة الرسام .. الرسام يُبدع ..وباسل يتأمل هذه الأميرة التى سمحت أخيرًا لحصانها أن يتمرد فوق كتفيها دون أى تقييد ..وهاتين البندقتين اللامعتين الساكنتين داخل مقلتيها تتعثران فى خجلهما

ود فى هذه اللحظة أن يقترب منها وأن يداعب خصلات شعرها المتطايرة فى الهواء ..أن يحتضن عيناها بعينيه .. ود لوقال لها : كفى غرقًا فى بئر ذكرياتك وماضيك ..ألم يأت الوقت بعد أن يتنفس قلبك من جديد!

تاه هو فى تأمله لها وآفاق على صوت "الرسام" وهو يسألهما ممازحًا : حبيبين أم صديقين؟

ارتبكت هى .. وابتسم هو وكأن الرجل يقرأ أفكاره .. فأجابا كليهما فى نفس اللحظة :صديقين

توردت وجنتيها خجلًا وبارتباك سألت الرسام : هل انتهيت ؟

تدخل باسل ممازحًا : ليش مستعجلة ؟

أجابت مرتبكة : مش مستعجلة بس اتأخرنا على دينا وعماركده

بابتسامة تعلو شفتيه وبنظرة ثاقبة منه تجتاح عينيها قال لها: ما تقلقى ..قربنا ننتهى من الرسمة

تنهدت بعمق وحاولت أن تتجنب نظراته المقتحمة لها ....

لحظات وانتهت اللوحة هَمَّت هى واقفةبسرعةً لكى تراها وعلى شفتيها ابتسامة واسعة وعينان تلمعان من الفرحة توجهت بالشكر إلى الرسام ..فكم تشبهها كثيرًا هذه اللوحة..

التفتت إلى باسل موجهة كلمة شكر له على هذه الفكرة الرائعة ..ابتسم لها قائلًا: انتى بتؤمرى

همت بأخذ اللوحة سبقتها يد "باسل" ممسكة اللوحة ,,نظرت له بتعجب .. فقال لها ممازحًا : بيضل شىء بسيط ناقص على اللوحة وبعدها بتكون اكتملت

أخذ اللوحة وذهب بعيدًا قليلًا وراح يدون عليها بعض العبارات..وسط ذهولها وتساؤلها ؟!

أنهى كلماته .. واقترب منها ..فراحت تمد يدها لأخذ اللوحة ..قال لها مراوغًا : لا بعطيها إلك بعد الغداء وانتى راجعة البيت

بدهشة تسائلت حنين :ليه بقى ؟وليه ما أخدهاش دلوقتى؟!

رفع أحد حاجبيه وأجابها بابتسامة ماكرة: هيدا شرطى لقبول هديتى

بسخرية قالت :عمرى ما شفت حد بيعطى هدية بشروط

باسل: معى بتشوفى العجب مو بس هدايا بشروط

ضحكت حنين وقالت له ممازحة :ماشى يا باسل واضح إن التحدى معاك مش هيخلص

***

فى أحد المطاعم بساحة المونمارت اجتمع أربعتهم حول طاولة الغداء ,,عن الطفولة والوطن والحياة ..الماضى والحاضر والمستقبل تبادلا أربعتهم الأحاديث بجو يزينه المزاح تارةً والجد تارةً ...

انتهت أمسيتهم ..وهمَّ كلُ واحدٍ منهم بالإنصراف ...وعلى باب المطعم أوقفها باسل قائلًا: اتفضلى هديتك ... لكن افتحيها لما ترجعى البيت

نظرت له مستفهمة متعجبة وبعقلها تسأؤل :تُرى ماذا يقصد؟ وماذا كتب باللوحة لكى لايريد أن أقرأها هُنا؟!

قطعت "دينا" حالة الصمت السائدة وقالت بلهجة ممازحة : بس احنا بقى عاوزين نشوف الرسمة يا أستاذ باسل

رمقها "عمار" بنظرة معاتبة وقال ساخرًا : الفضول وما أدراك ما الفضول

انتبهت دينا لنظرته وقالت مستدركة الموقف : خلاص ..خلاص بسحب السؤال

ضحك جميعهم ....وسط حالة من الفضول تتملك شخص آخرغير "دينا" وهى "حنين" وبداخلها سؤالٌ مُلِحّ :ماذا كَتَبَ على اللوحة؟!

***

فى شرفة مسكنهما وقف كليهما"حنين ودينا" كلًا منهما شاردًا فى سماء أفكارها .... حنين ممسكة بيدها اللوحة كماهى ..بادرتها "دينا" بسؤال: انتى مش هتفتحى اللوحة وتشوفيها يا حنين

حنين بارتباك :خايفة

دينا: خايفة من ايه ياحنين؟

حنين: مش عارفة يا دينا؟

دينا: الموضوع مش محتاج خوف يا حنين...أنا هروح اعمل لنا كوبايتين قهوة ..واسيبك تفتحى اللوحة وتشوفى شكلك طلع ايه فيها

غادرت"دينا" الشرُفة وتركت"حنين" متعثرة فى خوفها وحيرتها فلم يعنيها الآن كيف سيظهر شكلها فى اللوحة .. ولكن ما يعينها ماذا كتب لها باسل ؟!

ثوانٍ قليلة مرت وسط ارتباكها وحيرتها وتخوفها إلى أن هَمَّت بفتح اللوحة وهى تحُدث نفسها قائلة : أيًا كان اللى كتبه فهى كلمات مش أكتر ولا أقل ..

**لوحة بألأبيض والأسود تجسد ملامحها .. "نظراتها .خجلها.كبريائها " وكأن اللوحة كادت أن تنطق ..نظرت إلى ملامحها المتجسدة فى اللوحة بسعادة وببهجة رمقت بعينها "الكلمات التى تُذِّيل اللوحة من الأسفل بخط منمق "

إنى عشقتك .. واتخذت قرارى

فلمن أقدم يا ترى أعذارى

لا سلطة فى الحب .. تعلو سلطتى

فالرأى رأيى .. والخيار خيارى

هذى أحاسيسى .. فلا تتدخلى

أرجوك، بين البحر والبحار ..

ظلى على أرض الحيا د .. فإننى

سأزيد إصرارًا على إصرارى

ماذا أخاف ؟ أنا الشرائع كلها

وأنا المحيط .. وأنت من أنهارى

وأنا النساء جعلتهن خواتماً

بأصابعي .. و كواكباً بمدارى

خليك صامتة .. ولا تتكلمى

فأنا أدير مع النساء حوارى

وأنا الذي أعطى مراسيم الهوى

للواقفات أمام باب مزارى

وأنا أرتب دولتى .. وخرائطى

وأنا الذى أختار لون بحارى

وأنا أقرر من سيدخل جنتى

وأنا أقرر من سيدخل نارى

obeikandl.com

أنا فى الهوى متحكم ..متسلط

فى كل عشقٍ نكهة استعمارِ

فاستسلمى لإرادتى ومشيئتى

واستقبلى بطفولةٍ أمطارى

إن كان عندى ما أقول .. فإننى

سأقوله للواحد القهار

***

انتفض قلبها وهى تقرأ كلماتٍ استعارها هو من إحدى قصائد الشاعر "نزار قبانى" وراحت تقرأها مراتٍ ومرات بأنفاس متلاحقة تتزامن مع صوت دقات قلبها وعبرات تنساب على وجنتيها...للحظات وقفت متسمرة فى مكانها ..

صوت "دينا" يأتي من خلفها تنتفض بانتفاضة قلبها .. التفتت إلى نداء "دينا" لها قائلة : نعم يا دينا

انتبهت "دينا" للعبرات المنسابة من عينيها وإلى وجهها الشاحب اقتربت منها وربتت على كتفيها متسائلة :فى ايه يا حنين؟ ايه اللى حصل؟

بدون أن تلتفت "حنين" لها أعطت لها اللوحة ،أخذت "دينا" اللوحة وتأملتها وقالت بفرحة:الله طلعت شكلك بالظبـ .... بترت جملتها عندما لمحت بعيناها كلمات "باسل" أسفل اللوحة ..

اتسعت عينى دينا ذهولًا وقالت :معقولة بالسرعة دى وبالجرأة دى

التفتت لها حنين بفزع قائلة :سرعة ايه ؟ ايه الكلام اللى انتى بتقوليه ده يا دينا؟!

اقتربت "دينا" من حنين ممسكةً يدها تدعوها للجلوس والهدوء قليلًا ..ثم تابعت وقالت لها: بصى يا حنين

كلنا واخدين بالنا من تقرب باسل ليكى وصدك ليه بس الفترة الاخيرة انتى بدأتى تتعاملى معاه كويس..

قاطعتها "حنين" متهجمة : بتعامل معاه كويس كصديق مش حبيب

تابعت"دينا"حديثها وهى تتأمل "حنين" المرتبكة الحائرة:وليه ما يبقاش حبيب يا حنين؟!

نظرت لها "حنين" مستعجبة وبتوتر قالت :حبيب ...حبيب ايه ؟! ... لأ طبعًا

بابتسامة هادئة قالت :وليه لأ يا حنين؟ انتى مش هتعيشى عمرك كله على ذكرى خالد الله يرحمه .. ومعنى انك رافضة تعيشى من جديد كأنك رافضة إرادة ربنا ..الموت علينا حق .. والحى أبقى من الميت

وانتى هييجي عليكي يوم هتشتاق يكون فى حياتك راجل تحبيه وترتبطى بيه وتكونى أسرة وأولاد

وليه ما يكونش ده "باسل"

ثم أردفت حديثها قائلة :باسل يا حنين الوحيد اللى قدر يخليكى تبوحى بسهولة عن وجعك ..قصة موت خالد اللى دفنتيها فى قلبك ومش راضية تبوحى بيها لأى حد وكانك بتعطى لعقلك وقلبك إشارة ممنوع الكلام فى الموضوع ده

وما تنسيش إن باسل عارف ظروفك واستحمل جفائك معاه وفى كل لقاء بيجمعكم وكل حديث ليكم بيحاول يخرجك من دايرة الحزن اللى انتى فيها ويعطيكى أمل فى بكرة

اعتدلت"حنين"فى جلستها ومسحت بيدها عبراتها وقالت بوهن: أنا مش عارفة أعمل ايه ؟

نظرت لها "دينا" بابتسامة هادئة قالت لها : افتحى قلبك ..وارمى القفل اللى على باب قلبك ده فى البحر

واستقبلى ضيف جديد ..واهى تجربة مش هتخسرك حاجة بل بالعكس ممكن تفيدك

عبارات طويلة ترسلها "دينا"إلى حنين ..وحنين أشبه بجهاز استقبال تستقبل كلمات "دينا"دون أى تعليق شاردة حائرة مرتبكة ...

مضت الليلة على "حنين"ثقيلة..بطيئة كعجوز لا يقوى على السير فكيف لمن وقع فى بئر الذكريات أن يخرج بدون أن يلامسه أنين الذكريات؟!

ليلة اختلط فيها الماضي بالحاضر بالمستقبل .. على باب ذاكرتها نقرات تُذكرها بـ "خالد"...وعلى باب قلبها يدقدق "زائر جديد"باسل ... رحلة صراع داخلى يدور بقلبها وعقلها لم تحسم هى نتيجته بعد..

ليلة طويلة فارق النوم عيناها وصورة شابين تتلألأ أمام عينها وقلقٌ قاتلٌ وقعت غارقةً فى بحره ..

ساعات تمر ثقيلة وهى ممددةً على مقعدها فى الشرفة ... لم تشعر بنفسها إلا والنعاس بدأ يهزمها من كثرة التفكير استسلمت مرغمةً له...

"عقد فيروزى يزُيِّنُ جيدها ..وسلسالٌ ذهبى متدلٍ منه خاتَمٌ بين يديها .... وشاب يقف أمامها مبتسمًا هادئًا وجهه يضىء كالبدر ويقول لها : أنا مش زعلان انك خلعتى الخاتم من رقبتك يا حنين ...بالعكس أنا مبسوط انك رجعتى حنين اللى كلها أمل وحب ..ما تنسيش وصيتي ليكى:خلى أولادك يحبوا بلادهم واحكيلهم عنى وافتكرينى دايمًا بالخير....."

انتفضت من حلمها على أشعة الشمس وهى تغازل وجنتها وخيوط الصباح بدأت تسلسل فى زوايا الشُرفة

راحت تردد بينها وبين حالها :خير اللهم اجعله خير....

***

فى أحد المكاتب لوكالة إخبارية كبرى جلس الصديقان "عمار ،وباسل" ينهيان بعض التقارير الإخبارية المطلوبة منهما ...قطع انهماكهما فى العمل صوت"عمار"متسائلًا:هى حنين برضة لسه مابتكلمكش يا باسل؟

تنهد "باسل"قليلًا وأرجع جسده إلى الخلف وراح يداعب خصلات شعره بتوتر قائلًا: لأ ...ما حكيت معى

وما بعرف ليش ؟!

عمار:ده أمرمتوقع يا باسل انها هتتصدم من كلامك انت برضه استعجلت

عدل"باسل"من جلسته وبصوتٍ متحشرج قال: كل هاد واستعجلت أنا من أول يوم عرفتها فيه فى تركيا وأنا منجذب لها ولما شفتها هون من تانى بباريس ما صدقت حالى

حاسس كأن القدر بيرسل لنا إشارة أننا هنكون لبعض

قاطعه "عمار"بهدوء وقال له:أنا ما قصدتش انك اتسرعت فى مشاعرك ناحيتها .. لا الحب زى الزلازل ملهوش مقدمات

بس أنا قصدى انك استعجلت انك تبوح لها هى لسه يادوب بتحاول تقرب ليك كصديق

ابتسم "باسل" وقال بسخرية: أنا لو ضليت هيك بدون تصريح لها ممكن نقعد سنين فكان لازم اخذ هالموقف ..ثم أنا ماحكيت لها انى بحبها أنا لمحت فقط

ضحك "عمار"ساخرًا وقال موجهًا حديثه لباسل : لمحت ايه يا أستاذ... ده انت قررت وهى عليها التنفيذ

تسمى ايه الكلمات اللى انت بعتتها "

إني عشقتك .. واتخذت قرارى

فلمن أقدم يا ترى أعذارى

لا سلطة فى الحب .. تعلو سلطتى

فالرأى رأيى .. والخيار خيارى"

ثم أردف "عمار"قائلاً :يعني من الآخر هحبك يعني هحبك وما تتدخليش القرار قرارى

بابتسامته الهادئة التى تزين ثغره وبيديه يداعب ذقنه الخفيفة قال باسل: اية ..شىء متل هيك ..هيدى مشاعر وأنا حر فيها ..بحبها ومتأكد هييجى اليوم اللى هى كمان هتحبنى فيه بس بدها شوية صبر

obeikandl.com

عمار مشاكساً : يا سيدي يا سيدي ..يا سلام على الثقة بالنفس

ضحك باسل وهَمَّ بالوقوف واضعًا يده بجيب بنطاله وقال بثبات:مو قصة ثقة بالنفس ..ثقة فى الحب

***

بداخل أورقة السوربون وبعد انتهاء محاضرة طويلة عميقة لم تتذكر منها حنين أى شىء ..فلا شىء يشغل بالها سوى هذا الحلم الذى رأته صباحًا .. حيرة تتملكها وتفكير كاد أن يشق عقلها ....

راحت تقص على "دينا" الحلم كاملًا ..وما أن انتهت منه وجدت"ابتسامة عريضة تُزين شفتى "دينا" وهى تقول لها: خلاص الأمر اتحسم يا حنين

نظرت إليها "حنين" وبتعجب متسائلة: ايه اللى اتحسم

بدون تردد أجابت"دينا" قصتك مع باسل ..انتى خايفة على ذكرى خالد وخايفه تحبى حد غيره

وخالد نفسه وصاكي فى الحلم انك تعيشى حياتك يا حنين ..دلوقتى الكورة فى ملعبك انتى مرتاحة لباسل ولا لأ

لو مرتاحة إدى لعلاقتكم فرصة ,,, ولومش مرتاحة وبتعتبريه صديق إحسمى من دلوقتى قرارك معاه

***

أيام مرت الهروب منه هو شعارها ..لا تقوى على مواجهته .. هاربة من لقائه من محادثته المعتادة عبر الفيس بوك ... لاتعلم ماذا بعد الهروب ....

ابتسامة ساخرة مرت على شفتيها وهى تسأل نفسها :ماذا بعد الهروب؟!

لوكنتى بالفعل لا تشعرين بأى مشاعر تجاهه فواجهيه واحسمى قرارك مثلما قالت "دينا" من قبل

همَّت بفتح "جهازها الحاسوب" على صفحتها على الفيس بوك بكل ثقة دون تردد ...

وبدات بالكتابة له : مرحبًا باسل

لم تمض ثانية إلا ووجدت الرد يصلها منه : مرحبتين شو هالغيبة

ارتبكت وارتجفت أصابعها قليلًا ,فهى لم يخطر ببالها أنه موجود فى تلك اللحظة التى سترسل له فيها كلماتها التى ظلت لساعات تفكر فيها وتُرتبها داخل عقلها

ارتباك ظل ملازمًا لها للحظات وهى تستجمع أفكارها ...وبدأت أصابعها ترجع من جديد للكتابة والرد عليه:

ازيك؟

-أجابها على الفور :مومنيح

obeikandl.com

-سألته :ليه؟

- أجاب: لأنك صارلك كام يوم مادخلتي

تنهدت هى بتوتر وراحت تكتب ..تعثرت فى ارتباكها وخجلها من جديد وكأن كل كلمات العالم اختفت من أمامها فلا تعلم بماذا تُجيب أوتعلق

وسط حالة توترها وارتباكها وخجلها بادرها هو بكلمة جديدة تضىء صفحتها من جديد:مشتاق

تنهيدة أعمق تخللت صدرها ونبضات عالية تصدر من قلبها ووجنتين زينتهما الحُمرة وبصوتٍ متحشرج حديث نفسها قائلة : وبعدين بقى ..

"حنين ..... حنين .....حنيييييييييين "

كتبها هو عدة مرات ..منتظرًا ردًا منها ... أيًا كان الرد فهو منتظر ..منتظر ثورتها أوعصبيتها أو خجلها أو أى شىء

وهى على الجانب الآخر ضائعة تائهة مرتبكة ولكن ثمة ابتسامة صغيرة بدأت تتسلل إلى شفتيها مع دقات قلب متسارعة فلقد حول هو المياه الراكدة فى قلبها إلى إعصار قاتل

باسل كتبتها هى بعد تردد للحظات

-أجابها على الفور: اهلين ..صارلك ساعة وين كنتى ؟

- بدأت تستجمع قواها من جديد وقررت أن تكتب: باسل انت عاوز ايه منى؟

بدون تردد كتب هو :مابدى شيء منك يا حنين .. أنا بحكى عن مشاعرى وماهجبرك انك تتجاوبى معى

زفرت هى بارتياح قليلًا وكأن عباراته هذه اعطتها نوعًا من الطمأنينة ...

ثوانٍ قليلة ووجدت رسالة أخرى منه يتابع فيها كلامه : بس مو معنى إنى ما هجبرك انك تبادليني نفس الشعور..أنى هيأس وهستسلم ..لأ أنا وراكى لحد ما تيجي لحالك وتعترفى إلى بهيك ☺

غيظًا بدأ يتمكلها من لهجته الواثقة ومن كلماته المقُتحمة وبدون تردد كتبت: ايه الثقة دى؟؟ للدرجة دى واثق من نفسك؟!

بابتسامة ماكرة تظلل شفتيه قرأ جملتها وهو يداعب خصلات شعره بعبثية بادلها الرد كاتبًا :اه هيك شى☺

ابتلعت هى ريقها بصعوبة وراحت تفرك أصابعها بتوتر ماذا تكتب ..ماذا ستقول؟ فهو قد حسم الأمر..وكأنه سلطانًا أصدر فرمانًا بالحب ..ووجب عليها الطاعة

على الناحية الأخرى يجلس هو يداعب سيجارته بين شفتيه ويقُلب فى صفحتها ويتأمل صورها

ليلة طويلة مرت بينهما ..أحاديث متنوعة بينهما ..وتلميحات صريحة منه بإعلان حبه لها وانتظاره أن تبادله نفس الشعور ..وهروب مقصود منها ..ولكن إلى متى الهروب ؟!

فهل تقوى الأميرة المتمردة على الثبات على موقفها كثيرًا ..أم سترفع رايتها البيضاء معلنةً استسلامها لحصن قلب هذا الباسل المُحارب..

***

obeikandl.com

(9)

يا أنا يا أنا

يا أنا يا أنا أنا ويا ك صرنا القصص الغريبة
يا أنا يا أنا أنا وياك وانسرقت مكاتيبى
وعرفوا انك حبيبى وعرفوا انك حبيبى
يا أنا يا أنا هرب الصيف هربت عناقيد الزينة
وإذا ضيعنى الهوى شى صيف بقلبك بتلاقينى
وخبينى ولا تخبينى خبينى ولا تخبينى
ليا ليك بعينى شبابيك مضوية
سفّرني حبيبى سفرنى بليا ليك
وأنا قول لا تنسى على طول لا تنسى
وعيونك تاخدنى وتوعدنى بليا ليك
ليا ليك
تركوا تركوا سهر البال والعاشق لم جناحو
تركوا أسامهم ع الباب على كتب الدمع و راحوا
نسيونا بعضن وارتاحوا
نسيونا بعضن وارتاحوا
يا أنا يا أنا يا أنا يا أنا يا أنا يا أنا

يا أنا يا أنا ....فيروز""

أيام ديسمبر تمر ببرود كبرودته ..ليالٍ شتوية باردة وعواصف شتوية تجتاح باريس وشوارعها وعلى جانب آخر عاصفة بدات تتغلل إلى قلبها زلزلت جميع مشاعرها وأذابت الجليد بينهما...

تقارب بدأ يحدث بينهما بالتدريج ...قصائد شعرية هى حجته لكى يعبر بها إلى قلبها...

قصائد باتت هى تستمتع بقرائتها مرات ومرات ..

تتذكر أخر كلماته المستعارة من قصائد نزار التى أرسلها لها كأنها تعويذة سحرية

"*أحبك جدًا* وأعرف أن الطريق إلى المستحيل طويل وأعرف أنك ست النساء وليس لدى بديل وأعرف أن زمان الحنين انتهى ومات الكلام الجميل....."

لاتعلم ماهو سر هذا الرجل الذي بدأ يتسلل كسارق إلي زوايا قلبها ويشغل فكرها...لاتعلم ما سر انجذابها له؟

بينها وبين حالها تعلم أن هناك مغناطيسًا يجذبها إليه.. ولكن أمامه التمرد والعناد شعارها الدائم

..شرود دائم يلازمها وتفكير دائم يحاصرها "كلماته, ضحكاته, همساته, وحتى قصائده المستعارة التى يرسلها "كلها شغلت حيز تفكيرها طوال الأيام الماضية ..

***

ليالى ديسمبر شَرُفَت على الإنتهاء وعامٌ جديدٌ قارب على القدوم ..ومقهى "الحرية" من جديد ستجمعهما للإحتفال بالعام الجديد فى ضيافتها....

***

ليلة رأس السنة

باريس فى هذه الليلة غير كل ليلة ,, الثلج يُزين شُوارعها وطُرقاتها بالثلج كعروسة تهيأ لعريسها بالأبيض ,, الأضواء تتألق فى شوارعها – والآلاف من المُحتفلين يتجمعون فى ميادين باريس وشوارعها ومقاهيهاومطاعمها ,,أجواء الإحتفال تُخيم على المدينة بأكملها وأصوات الفرح تعلو وتزلزل أرجائها

وكان مطعم "الحرية" لايقل فى الإحتفال عن باقى باريس ,,ففى هذا اليوم امتلأ المطعم بالزوار من كافة الجنسيا ت المختلفة ما بين عرب وفرنسيين وجنسياتٍ أخرى ,, كان للمكان فى هذه الليلة رونقٌ خاص

الجميع يحتفل ويرقص ,,والكئوس تُرفع ,,والأمنيات على أعتاب العام الجديد الكل يحلم بتحقيقها,,

جلس أربعتهم على أحد الطاولات .. أحاديث متبادلة بينهما ونظرات يرمق بها باسل" "حنين"من وقتٍ لآخر..وهى الأخرى تلاحظ ذلك -

ولكن،، العناد هو من يقودها ..وكأن "لعبة التحدى" بينهما بدأت تروق لها

هو لا يستسلم ...وهى لا تُسَلِّم الراية بسهولة ...وقرعت طبول الحب بينهما فى صمت ..

على الكمان يعزف هذا العجوز ألحانًا تداعب أوتار قلوب الحاضرين ..بمعزوفته لإحدى أغنيات فيروز ....ا"

يا أنا يا أنا أنا ويا ك صرنا القصص الغريبة"

يا أنا يا أنا أنا ويا ك وانسرقت مكاتيبى

وعرفوا انك حبيبى وعرفوا انك حبيبى

يا أنا يا أنا هرب الصيف هربت عناقيد الزينة

وإذا ضيعنى الهوى شى صيف بقلبك بتلاقينى

وخبينى ولا تخبينى خبينى ولا تخبينى

ليا ليك بعينى شبابيك مضوية

سفّرنى حبيبى سفرنى بليا ليك

وأنا قول لا تنسى على طول لا تنسى

وعيونك تاخدنى وتوعدنى بليا ليك

obeikandl.com

ليا لييييييييييييييييييلك.....

على انغام اللحن الفيروزى الشجى تشارك العديد حلبة الرقص ...دعا "عمار""دينا" لمشاركته أحد الرقصات واستجابت على الفور بابتسامة طفولية...دعوة أخرى يقدمها

"باسل"لحنين لمشاركته الرقصة ..تردد من ناحيتها حسمه هو بجذب يدها

نزلا معًا ساحة الرقص ..اقترب منها بدون تردد..احتضن كفها الصغير كالعصفور راقدًا مستكينًا بين إحدى يداه..واليد الأخرى تحاصر خصرها برشاقة وخفة ...حصارًا أعجبه هو..وأربكها هى

أقترابًا بينهما كاد أن يسمع هو صوت دقات قلبها المُتسارعة.. و أنفاسها المضطربة من اقترابه الزائد لها..ود أن يقترب منها أكثر وأكثر وأن يحطم هذه الحواجز التى تضعها هى بينهما ..ود أن يضمها بين أحضانه *ويدفن رأسه بين شعرها* المنسدل كستار الليل .. ويستنشق عبير الياسمين الذى يفوح من جسدها..

عزف "العجوز"يُلهب المكان ومعه يلتهب قلبه من الجميلة المتمردة التى بين يديه.. يعلم أنها تتعامل معه بحذر وعلى قلبها تضع ألف حصنٍ وحصن ..ولكنه لا يستسلم ..فثمة نظرة يراها بعينيها توحى بأن هناك آمل

بأن هذه الجميلة سُرعان ما سُترفع راية الحب مستسلمة لقلبه...

اقترب منها ..ووجهها قريب من *وجهه* ..أحست *بأنفاسه*الحارة *تلفح* وجهها ازدادت حمرة وجنتيها فاقترب من أذنيها هامسًا : بحبـك

كلمة قالها هو تحت تأثير سُكْر العشق الذى أذهب عقله وقلبه..استقبلتها هى بانتفاضة فى قلبها وابتعادٍ بجسدها عنه ..وارتباك ظهر على وجنتيها اللتين تلونتا بكل ألوان الطيف فى هذه اللحظة...دقائق صامتة بينهما كلٌ منهما ينظر إلى الآخر,, استجمعت قواها وهمت بالإنصراف مُسرعة مخلفة ورائها المكان بما فيه

أسرعت الخطى هاربةً منه بل هاربةً من نفسها ومن مواجهتها بأنها بدأت تقع فى مصيدة حبه...

خطوات سريعة منها لم ترأمامها أى شىء .لاتستمع إلى أى شىءٍ حولها .لاصوت يعلو فوق صوته وهو يهمس بأذنيها "بحبك" .اتجهت صوب محطة المترو وأثناء نزولها من على درج المحطة وجدت بعض الشباب السُكارى يقومون بالتقرب منها فأسرعت الخُطًى وركضت صوب المترو

فإذا بصوته يا تي من خلفها وهو ينادي عليها ويستوقفها :حنين

حنيييييييييين

لم تُعِرهُ أى اهتمام واستكملت طريقها متجاهلة ندائه ...ثوانٍ قليلة وسمعت أصوات بعض هولاء السكاري يقتربون منها ..وقفت فى مكانها فزعةمن طريقتهم الإستفزازية نحوها ...اقترب أحدهما نحوها فى

محاولة لجذب يدها ...انتفضت فزعة فى محاولة لإبعاده عنها .. فى هذه اللحظة وجدت يدًا تحول بينها وبين هذا السكران المعتوه "يد باسل لا أحد غيره".. تبادل سبابًا بينه وبين هولاء السكارى انتهت بلكمة منه لأحدهم... رد الآخر بلكمة أقوى .. لحظات من تبادل اللكمات والسباب بين الطرفين انتهت بتدخل أحدى المارة جزائرى الجنسية " حاول أن يفصل بينهما...

وعلى الطرف الاخر تقف هى مرتجفة من الأحداث التى تمر أمام عينيها..لحظات من الذهول والإرتجاف لم تُفِقْ إلا على قبضته وهى تمسك ذراعيها بعنف ويجذبها معه للخروج من محطة المترو

خارج المحطة وقف الإثنان فى مقابل بعضهما البعض..كان مازال ممسكًا يدها بعنف..سحبت يدها وحررتها من بين قبضته وبصوتٍ متحشرج قالت: إيدى وجعتنى..انتبه هو لها وهمهم معتذرًا ..ثم تابع كلامه لها بصوت جهورى متحشرج من شدة الغضب قائلًا: ليش انتى هيك متسرعة ومن أقل شىء عم تتعصبى؟

نظرت إليه بغيظ وقالت : متسرعة أنا ؟؟ ولا إنت اللى متسرع

أما بقي على العصبية فإنت ما يخصكش أتعصب ولا لأ؟

رمقها بنظرة نارية وبغضب قال : لأ يخصنى ..ويخصنى جدًا كمان ..انتى ما بتعرفى كان ممكن يصير إلك ايش لوأنا ما كنت وراكى

ثم تابع بغضب ثائر وبوجه لم تره من قبل على هذا الشكل وهو يقول:ها دول شوية سكارى كان ممكن الأمر ما يقف لحد المعاكسة ..الله أعلم كان ممكن يصير ايش تانى ..وكل هاد لإنك عنيدة صارلى ساعة وراكى عم بنادى عليكى وانتى ولا كأن فى حدا بينادى

..شو هالعناد كان ممكن تضيعى حالك

بعينين دامعتين وبصوت يتخلله الوهن وبنظرة يتملكها الغيظ منه لقسوته عليها قالت له:خلاص..شكرًا لحضرتك جدًا انك جيت وساعدتنى ..جميلك ده مش هنساه

ثم هَمَّت بالإنصراف مسرعةً ..أسرع هو الآخر ورائها وجذبها من يدها فاستدارت بجسدها مرغمةً صوبه،لمح تلك العبرات المنسابة على وجنتيها الحمراوتين ...ابتلع ريقه بصعوبة وبخفوت قال لها: فيكى تروقى شوى

لكن الغضب تملكها وبدون سابق إنذار هبت كعاصفة هوجاء فى وجهه وبثورة عارمة قالت له:أنا مش فاهمة إنت شاغل بالك بيا ليه ؟ ماشى ورايا ليه؟

ثم تابعت بنفس الغضب: وايه التصرفات الغريبة اللى عملتها النهارده دى؟!

نظر لها متعجبًا وسألها باستنكار:تصرفات غريبة؟! كيف يعنى

ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت بصوت يكاد يكون مسموعًا : اه بالعافية تقومنى أرقص ..وأنا طبعًا ما قدرتش أرفض الناس حوالينا وبيبصوا عليك وانت واقف قدام الكرسى بتاعى ومادد إيدك علشان أقوم..

نظرة ماكرة وضحكة يحاول هو أن يكتمها وهو يستمع إلى حديثها الثائر معه ..ثم تابعت هى بنفس لهجتها المتوترة الغاضبة :و لَّا الكلمة اللى انت قلتها واحنا بنرقص دى.. ايه الجراأ اللى إنت فيها دى؟!

لم يقدرهو على كتمان ضحكته أكثر من ذلك فانفجر ضاحكًا وبمراوغة قال لها: واضح جدًا أن هالكلمة هى السبب فى كل هاد ..

باستغراب سألته :تقصد أيه؟

اقترب منها بهدوء وبابتسامة صغيرة تزين ثغره قال لها : بقصد يا حنين إن كلمة "بحبك"هى اللى خربطتك وما عرفتى شو هتردى على؟ .. فهربتى منى ...

ثم أضاف ولازالت الإبتسامة مرسومة على شفتيه وبلهجة ماكرة قال: بس شفتى لأنك فكرتى تهربى منى كان هيحصلك شو؟ لهيك ماتفكرى تهربى تانى

أشاحت بوجهها بعيدًا عنه فلا تعلم فى هذه اللحظة أتضحك على مزحه معها ..أم تبكى من توترها وغضبها من شدته معها.. أم تفرح بهذه الكلمة التى ألقاها على أذنيها منذ دقائق...لاتعلم وراء أى المشاعر ستنساق ؟

"حنين" قالها هو هامسًا ..التفتت إليه وبخفوت قالت :نعم

ثم تابع هو ممازحًا وقال لها : نعم الله عليكى ..أنا فكرتك نمتى

ابتسمت هى وبسخرية قالت :

نمت؟ نمت ايه

بنفس الروح الممازحة قال لها وهو يقترب قليلًا منها : أصل انتى صار لك ساعة ساكتة ووجهك بالإتجاه الآخر فقلت يمكن نامت وهى واقفة

رمقته بنظرة غيظ وقالت له ساخرة: هو انت كل حاجة عندك هزار

ابتسم لها مداعبًا : يعنى أنا أحكى جد مو عاجبك !. أمزح موعاجبك ! ..شو بدك يانى أعمل وأنا هعمل؟

أجابته بابتسامة هادئة : لأ ..خلاص ما تعملش حاجة

ابتسم هو الآخر لها وبمكر قال :بس أنا بدى أعمل وأعمل حاجاااات كتير ..بس كل شىء بوقته حلو

ارتبكت هى قليلًا من حديثه وتورد وجهها خجلًا وعلى استحيا ء قالت له: طيب مش يلا بينا بقى نمشى ..احنا هنقضى الليلة كلها فالشارع

أومأ برأسه وابتسم قائلًا : اى معك حق ..يلا *بينا توجه الإثنان صوب " سيارته"الكائنة بالقرب من مقهى الحرية .. حينها -كانت دقات الساعة*

تقترب من الثانية عشر ليلًا لتعلن عن بدء عامٍ جديد،، فأخذ الجميع يصيح بصوتٍ عالٍ :

Cinq

Quatre

Trios

Deux

Un

حينها بدأ العام الجديد واستقبل الجميع التهانى بعضهم لبعض ورُفِعَت الكئوس وعلت أصوات الموسيقى وعلى رقصة "الدبكة" رقص الجميع...

تأمل كلًا من باسل وحنين ضيوف المقهى وهم يلهون ويرقصون ويمرحون..توجه برأسه صوبها وقال لها: بدك تدخلى تكملى سهرتك

أجابت بخفوت :لأ..أنا حابة أروح ..وهبقى أكلم دينا ترجع مع أصدقائنا شكلها مبسوطة ومش حابة أقطع سهرتها

ثم أردفت قائلة: ادخل أنت كمل سهرتك ..انت قطعت سهرتك علشانى

ابتسم لها وبنبرة حانية قال: ولايهمك ...أنا مبسوط إنى معك

obeikandl.com

وبدأا يترجلان قليلًا كلٌ منهما صامت .شارد فى أحداث هذه الليلة المزدحمة..قطع شرودهما صوته وهو يقول بنبرة هادئة تتخللها ابتسامة صغيرة منه : كل عام وانتى بخير

أجابته بابتسامة صافية :وانت بخير وسنة سعيدة إن شاء الله

تنهد قليلًا وأومأ برأسه وقال : إن شاء الله .... إن شاء الله

ثم تابع كلامه قائلًا :ع فكرة أنا وعمار هننزل بعد بكرة سوريا أسبوعين

باستنكار قالت : سوريا ! ليه؟

أجابها :شغل منشان نغطى بعض الأحداث هونيك للوكالة

انتفضت لكلامه وبدون أى تردد قالت :بس الأوضاع هناك صعبة جدًا دلوقتى ومفيش أمان

قال ناظرًا إليها بنصف عين: شو خايفة عليا ؟

بارتباك وبصوتٍ متحشرج فى محاولة منها للهروب من الإجابة قالت : ربنا يطمنا عليك

نظر اليها بعينين عاشقتين وهمس مقتربًا منها :هشتاقلك

ارتبكت قليلًا *واكتسب* خدها اللون الأحمر ونظرت إلى الأرض باستحياء لم يمهلها فرصة للرد أو الإعتراض ..جذب يدها وقبَّلَهَا وباليد الأخرى أمسك هاتفها المحمول ودوَّن رقم ...

لحظات بين ارتباكها وخجلها وجرأته حسمها هو بإعطائها "هاتفها" وقال ممازحًا : هيدا رقمى لوبدك تتطمنى عليا وأنا بسوريا

أومأت برأسها خجلاً ..فنظر بعمق لها وقال لها ممازحًا: هتتطمنى؟

أجابت بخفوت: إن شاءلله

***

"سوريا " تدخل عامها الرابع وسط حرب أهلية لم تحسم بعد..سوريا الضائعة بين الثورة والمؤامرة ..أزمة تحولت إلى حربٍ أكلت الأخضر واليابس.. والذى يدفع الثمن باهظًا هو *الشعب* دائمًا ..

لا صوت يعلو فوق صوت الموت ..ولارائحة تطفو على السطح إلا رائحة البارود والقذائف

أربعة اعوام يدفع فيهم كل سورى من جسده وروحه ثمنًا عظيمًا ...

وسط هذه الأحداث كانت كاميرا "عمار" ترصد مشهد غير إنسانى على ساحة المعركة ..وباسل يتمم الرصد بتقريره الإخبارى

أسبوعان مرًا عليهما تحت ضغوطٍ قاتلة ..وموقفٍ عصيب أمامهما يزداد سوءًا يومًا بعد يوم... أنهارٌ من الدماء يغرق فيها الجميع .. ووجع وطن ينزف ويتألم ولا أحد يداوى جراحه

حالة من الألم والوجع تسللت إلى قلب"باسل" وهو يجوب شوارع دمشق و يسترجع ذكريا ته بين طرقاتها..

لم يأخذه من حالة الألم التى اجتاحت صدره سوى رسائل مقتطفة من "حنين" من وقتٍ لاخر وهى تطمئن عليه وعلى أخباره

رسائل بدأت تبعث فى نفسه الطمأنينة بأن السد المنيع بينهما سينهار قريبًا

***

على جهة أخري ووسط ظلام باريس وبرودة شتاءه العاصف جلس كلًا من "حنين,, ودينا"منهمكتان لإنهاء أحد الأبحاث المطلوبة منهما من الجامعة...

صوتٌ أثار انتباههما معلنًا عن قدوم رسالة منه ... ابتسمت بهدوء وفتحت صندوق رسائلها لتقرأرسالته لها" أنا راجع بكرة .... لو مشتاقة ليا متل ما أنا مشتاق إلك ..أنطريني بالمطار ..الساعه الثانية ظهرًا ☺"

ابتسمت لرسالته وارتبكت للحظة مع علو دقات قلبهاواضطراب أنفاسها وسؤال مُلِحّ ينقر على رأسها وهو: هل سأذهب لاستقباله ؟ أم لا؟

وسط توهانها وحيرتها نقر صوت "دينا" على أذنها وهى تقول: فى ايه يا بنتى ؟ مالك وشك جاب ألوان كده ليه؟

تنهدت "حنين:بعمق وبصوتٍ متهدج قالت لدينا: باسل بيحطنى قدام الأمر الواقع

تسائلت دينا بحيرة :تقصدى ايه؟

تابعت "حنين" بيقولى لو مشتاقة ليا زى ما أنا مشتاق ليكى ..أنتظرينى فى المطار بكرة

ضحكت دينا وبطريقة ماكرة قالت لحنين: ايوه كده ..الكورة بقت فى ملعبك دلوقتى

حنين بتوتر:مش عارفة يا دينا أعمل ايه

قالت "دينا"بهدوء: أقولك رأيى وبدون زعل

أومأت "حنين" رأسها وقالت بلهفة :قولى

دينا: انتى بدأتى تتعلقى بيه

همت"حنين" بمقاطعتها ..فربتت "دينا"على يدها وقالت بهدوء: سيبينى أكمل

انتى ما شفتيش نفسك الأيام اللى فاتت كنتي عاملة ازاى؟

قلقانة وما تصدقى يرد على رسايلك ..صفحته على الفيس كل شوية بتفتحيها وتشوفى صوره ..

ده اسمه ايه؟؟

بصوت متحشرج قالت حنين: يعنى يا دينا .. بتطمن على إنسان ما شوفتش منه شىء وحش

ابتسمت "دينا" وقالت ممازحة: انك تتطمئ حاجة .. وانك تتعلق بيه حاجة

وانتى بدأتى تتعلقى بيه يا حنين ... انتى الأول كنتي قافلة باب قلبك بالقفل ومضيعة المفتاح وكنتى مفكره انك بكده محدش هيقدر يدخل قلبك من بعد خالد الله يرحمه .ولكن نسيتى إن فى شباك ممكن يدخل منه حد تانى ويسرق قلبك وفكرك بدون إرادتك ... وعلشان كده بطلى العيب اللى فيكى ده ...

قاطعتها "حنين" وقالت مستنكرة: عيب ايه؟

دينا:

العند

نظرت إليها"حنين"بتساؤل بينما تابعت "دينا" :ايوة يا حنين انتى عيبك انك عنيدة شوية مش عاوزة تسلمى قلبك بسهولة

انتى نسيتى مع خالد الله يرحمه كنتي برضه متعبه فى الأول بس باسل غير خالد يا حنين ..باسل حاطط فى دماغه انه يوصل لقلبك بكل الطرق ومش بيستسلم وهو فعلًا بدأ يوصل بالتدريج

تنهدت "حنين" وزفرت ببطء وقالت بوهن : صدقينى مش عند يا دينا أنا فعلًا تايهه حاسه من جوايا إن فى إنجذاب ليه ..بس فى تخوف من الموضوع كله

اقتربت منها دينا وربتت على كتفها مبتسمة وقالت بهدوء: يبقى لازم تدخلى التجربة وترمى كل الخوف والتردد ورا ظهرك ..

وتابعت :ما ينفعش نقف على الشاطئ ونقول الميه شكلها باردة...لازم تنزلى وتجربى بنفسك

بسخرية قالت حنين:وافرضى الميه طلعت كويسة ..بس غرقت فيها

ضحكت دينا وقالت مداعبة: يبقى تتعلمى العوم يا دكتورة ولا تسيبى نفسك لحد ماهر ياخد بإيدك فى البحر ده

بابتسامة ساخرة قالت حنين وهى تداعب خصلات شعرها : مين بقى اللى هياخد بإيدى

دينا وبنصف عين : باسل

وتابعت بنفس نظرتها الساخرة المداعبة : لازم تدى لنفسك فرصة يا حنين

أومأت حنين برأسها وقالت بوهن: إن شاء الله سيبها على الله

***

صباح سورى برائحة الدماء حيث الألم يتضافر مع الوجع ..على الطرقات والشوارع والبيوت قصص بطلها الموت والفراق...

فى هذا الصباح وفى أحد فنادق دمشق .عزم باسل وعمار على تجهيز حقائبهم للعودة مرة آخري لباريس ..صوت المذيع يتسلل من خلف شاشة التلفزيون بخبر موجع كالعادة عن وقوع "مجزرة" فى القابون حيث يتقاسم النظام والمعارضون السيطرة على الأحياء. وأن عمليات القصف استهدفت "أحد المدارس."

وتابع المذيع مكملًا:تلك المجزرة التى راح ضحيتها11طفلًا على الأقل.....

لم ينته الخبر بعد..إلا وقد توجه الإثنان بسرعة البرق إلى موقع المجزرة لتتبع أحداثها ....

***

تعدت الساعة العاشرة صباحًا بتوقيت مدينة الحب والنور..استيقظت على صوت "دينا"وهى توقظها

بفزع ..قامت من سريرها منتفضة منهدشة

فى ايه يا دينا؟ مالك

دينا بارتباك : باسل

قاطعتها حنين وهى تشعر بانقباض :ماله باسل ..فى ايه؟

دينا: باسل فى المستشفى متصاب

شهقت حنين بفزع : متصاااااب ؟ ايه اللى حصله

اقتربت دينا منها وجلست بجوارها على طرف السرير فى محاولة لتهدئتها وقالت لها بهدوء: مش عارفة هو ماله بالظبط؟ أنا لقيت مسج بالليل من "عمار "بيقولى انهم جايين بكرة الساعة 2 ظهرًا ..وبيقولى أحاول أقنعك تيجى تستقبلى باسل فى المطار ..لأنه متعشم أوى 'نه يشوفك تستقبليه فى المطار,, وحاطط أمل كبير فى اللقاء ده

نظرات دامعة سيطرت على عيون حنين بينما دينا تتابع حديثها :المهم..قمت من شوية قلت اتصل بعمار واتأكد من ميعاد ورقم الرحلة...لقيته بيرد مرتبك وصوته مخنوق وبيقولى مش هعرف أكلمك دلوقتى

باسل اتصاب واحنا بنغطى خبر فى مدرسة من مدارس دمشق حصل فيها مجزرة من شوية

صدر يعلو ويهبط ودقات قلب متسارعة ودموع منسابة على وجنتيها دون وعيٍ منها وبارتعاشة خرجت من بين شفتيها قالت: ليه ؟..... لييييييييه؟؟

نظرت إليها دينا بذهول وقالت لها بقلق: هو ايه اللى ليه يا حنين؟

انتفضت كعصفورٍ صغير تُرِكَ وسط الرياح لا يقوى على الطيران وقالت وهى تبكى : ليه كل حلم جميل ييجى حياتى يقلب لكابوس؟ ليه كل واحد أتعلق بيه الموت يسرقه منى.....

بترت "دينا" جملتها وقالت لها :بعد الشر يا حنين إحنا لسه ما نعرفش باسل متصاب إزاى

ما تسبقيش الأحداث وتفولى عليه

وتابعت "دينا" :حاولى تهدى كده وتعالى نقوم نصلى ركعتين لله ونقرأ شوية قرآن وربنا هو الحامى والحافظ

قامت من فراشها وهى بالكاد تقف على أرجلها توضأت وتوجهت إلى مُصلَّاها *وصلت* لله ركعتين أطالت *سجودها* ودموعها تبلل سجدتها وهى تدعو الله أن يحفظه وأن يرده سالمًا غانمًا لها

***

فى أحد مستشفيات دمشق وخارج أحد غرف العمليات وقف "عمار" فزعًا مرتبكًا فى انتظار أن يطمأنه الطبيب على حالة رفيقه .. وسط حالة تخوفه وقلقه سمع صوتًا ينادي من بعيد عليه : عمااااااار

التفت إلى مصدر الصوت وترجل بهدوء : مايا ؟

انتى ايه بس اللى جابك؟

نظرت له وعيناها تشعان غضبًا ودموعٌ تنهمر منهما وهى تقول : شو يعنى ايه اللى جابنى ؟ هو باسل حكى إلك انه ما بدو يشوفنى؟؟

تنحنح عمار وقال :لأ .. لأ طبعًا مش قصدى كده

قطع حديثهما هذا الرجل القادم معها وهو يتسائل بفزع موجهًا حديثه لعمار: طمني يا عمار كيف حالة أخى هلأ

ربت "عمار" على كتف "غسان" وقال له : ما تقلقش يا غسان ان شاء الله خير ..الدكتور شوية وهيخرج يكلمنا

غسان مرتبكًا: كل هاد وهو بالعمليات 4ساعات ؟

عمار :

ايوة من ساعة مطلبتك وهو بالعمليات ..كويس إنك جيت يا غسان أنا كنت محتاج حد معايا وخصوصًا من أهله

غسان:

الله يستر يا عمار ومنيح انك خبرتنى على طول

..لحظات قليلة وخرج احد الأطباء ليطمأنه على حالة "باسل"..بخطواتٍ مسرعة متلهفة أسرعت "مايا " إلى الطبيب لتسأله عن حال باسل والدموع تنهمر من عينيها

-خبرنى دكتور كيفو؟

obeikandl.com

بصوتٍ متهدج هادئ أجاب الطبيب :الحمدلله ... بفضل الله خرجنا الرصاصة والحمدلله إنها ماصابت القلب إجت بالصدر وعملنا المطلوب

قاطعته "مايا " فينى أشوفه دكتور

الطبيب:

ما بظن الليلة بتقدروا تشوفوه هو هيضل تحت الملاحظة للصباح ..فيكم الصبح تشوفوه ..بتوتر قال "غسان" طيب دكتور وضعو بعد ما شلتو الرصاصة منيح؟

الطبيب: وضع هلأ مستقر..لكن خلال الأربعة وعشرين ساعة القادمين لابد يكون تحت الملاحظة منشان أى مضاعفات

تنهد "غسان" بعمق مستندًا برأسه على الجدار وهو يتمتم :يا الله استرها معو

ربت "عمار" على كتفيه بهدوء وقال له محاولاً التماسك هو الآخر :

الحمدلله أن ما جت الرصاصة فى القلب ,, وإن شاء الله بكرة هيكون أحسن ثم استكمل حديثه موجهًا كلامه إلى "هذه البيضاء ذات الشعر الأحمر النارى الثائر الذي لايقل فى ثورته عن نظرات عيونها النارية الغاضبة قائلًا لها: بظن مايا ما ينفعش تستنى هنا للصبح ..فى فندق قريب من هنا بنحجز غرفة لكى والصبح تعالى

...فى هذه اللحظة تدخلت بعصبية مفرطة وبنظرات حادة كادت أن تقتل "عمار"وهى تقول : أنا ما بعرف شو هالبرود اللى انت فيه عمار؟ كيف يعني أنا بروح واجي الصبح ..انت ما هتكون أقرب لباسل منى

قطع هذا الشجار الملتهب غسان وهو يقول لمايا بحزم: مايا ..عمار ما غلط بدك تروحى الفندق ترتاحى للصبح روحى ..مابدك ضلى هون بدون وجع رأس ..بيكفى اللى احنا فيه

زمت شفتاها بغضب وأشاحت بجسدها بعيدًاعنهم لتجلس على أقرب مقعد وهى تفرك بأصابع يدها بتوتر

أنا مش عارفة انت ليه جبتها معاك يا غسان :قالها عمار متسائلًا

غسان:

ما كان بدى إياها تجى لكنها اصرت وانت بتعرف راسها يابس وما تنسى إنها مرته يا عمار وما بقدر أحرمها انها تشوف زوجها

عمار ساخرًا: تقصد مراته لحين إشعار آخر .. بتمنى بس باسل لما يفوق ما يزعلش من وجودها.. يلا المهم صحة باسل دلوقت أهم..

***

الساعة تعدت الرابعة فجرًا وهى مازالت ساهرة متخبطة فى مشاعرها نحوه ..دموعها تفر هاربة من مقلتيها وقلبها ينبض بنبضاتٍ سريعة وعقلها داخله صراع يحتدم تساؤلات متتالية تنقر بداخل عقلها " هل أحبه؟؟ أم أشفق على حالته الان؟

ولكن لوكان الآمر إشفاقًا ماكنت شعرت بكل هذه المشاعر نحوه ولا تملكني القلق بهذا الحد !

لا ..أنا أحبه ..لماذا أعاند ؟ بيكفى عناد ....

همهمت وهى تتنهد : ايوه بحبه .. بس يا رب يكون وضعه مش صعب ويتحسن ويرجع أحسن من الأول ساعتها أنا هعترف ليه إنى فعلا إتعلقت بيه وبدأت أحبه

ليلة طويلة جالسة على فراشها ،حاولت إرغام نفسها على النوم ولكن ..قصة طويلة تشغل عقلها وقلبها وفكرها ..قصة مثيرة بطلها "باسل "ولا أحد غيره ..طردت النوم من جفونها وجعلت أبواب قلبها تُفتح من جديد لتستقبل زائرًا بل مستوطنًا استوطن قلبها وعقلها....

أسبوع مر عليه وهو طريحٌ لهذا الفراش..جسده مقيد بـ*خراطيم* مدلاة من أنفه وفمه، وصوت أنفاسه المتهدجة هى الإشارة الوحيدة أنه لازال على قيد الحياة لا صوت فى الغرفة يعلو صوت صفارة جهاز قياس نبضات القلب وأنفاسه العالية المضطربة ....

وعليها مر الأسبوع بحالة من التوهان والإرتباك والترقب .. ما يطمأنها هى محادثتها ورسائلها لعمار ليخبرها بحالته يومًا بيوم ..ودَّت لوكانت فى هذه اللحظات بقربه ممسكة بيده..شىء ما بداخلها يُشْعِرَهَا بالضيق لعدم اعترافها له بأنها بدأت تقع فى مصيدة حبه ... وكأن ما أصابه هو صفعة لها أن تفيق وأن تُكف هروبًا منه وهروبًا من نفسها

نعم ..فهى تحبه ..ويومًا ما أطلق تعويذته السحرية عليها بيوم رأس السنة وأخبرها هامسًا بأنه يحبها..وبأنه سيشتاق لها..ارتعبت وانتفضت

ليس لانها لاتشعر بكلماته أو كما صرَّحَت له يومها بأنه تجرأ بكلماته لها ...ولكنها خافت من أن تستسلم له وترفع راية حبها له فكان الهرب هو طريقها ..

ولكن إلى أين الهروب ؟! ..فكل الطرق تؤدى إليه..

***

ظلت طوال الأسبوع جالسة *بجوار* فراشه *ممسكة بيده* ودموعها تنهمر على صدره تشعر بالذنب مما حدث بينهم

أى ذنب هذا الذى تشعرى به يا مايا ؟!

هل سيجدى نفعًا البكاء على اللبن المسكوب؟!

هل جرح القلوب بسهولة مداواته ؟!

تساؤلات تصرخ بداخلها .. وكلمة واحدة ترددها على شفتيها "سامحنى ..سامحنى باسل"

ولكن"باسل"غائبًا عن ما حوله..حاضرًا فى عقله الباطن عدة مشاهد مشوشة عشوائية تحوم فى مخيلته ،هى بعيدة كل البعد عنها

تارة يعقد حاجبيه عابسًا وهو يتذكر .الرصاصة الطائشة التى أصابته وهو يساعد فى نقل بعض الجرحى فى المدرسة التى زلزلتها هذه المجزرة الألئيمة ...وتارة آخرى يظهر شبح أبتسامة صغيرة على ثغره تكاد تظهر غمازته وهو يتذكر أميرته المتمردة ذات الحصان الأسود الثائر ..وحبتين بندق حائرتان فى عينيها ....دقائق قليلة وهو فى عالمه الخاص مع أميرته

..شعر بيد صغيرة تلامس يده..اتسعت رقعة الإبتسامة على شفتيه وحاول جاهدًا أن يفتح عينيه ليجدها جالسة أمامه تبكى وهى ممسكة بيده

انتبهت هى على يده وهى تشد على أصابعها بضغطاتٍ متفاوتة فابتسمت ,,فها هو بدأ يفيق من تأثير المخدر بالتدريج وبارتعاشة بين شفتيها قالت : باسل حبيبى ..حمدلله على سلامتك

أسرع كلًا من"عمار وغسان" بالقرب من فراشه وبصوتٍ متلهف قال غسان:باسل سمعنى

فأومأ باسل برأسه قليلًا ..فاقترب عمار منه وهو يقول حمدلله على سلامتك يا باسل ..خضتنا عليك يا راجل

وفى هذه اللحظة كانت يداه لازالت مستقرة بيدها،،ابتسم بصعوبة ولازالت الرؤية أمامه مشوشة وملامحهضائعة بين الخيال والواقع وبصوتٍ متهدج يعافر لكى يخرج قال :حنين

سحبت يده فزعة مما سمعت عقدت حاجبيها بغضب وقالت بعصبية :حنين؟ أنا مايا يا باسل

أغمض عينيه من جديد وغطَّ فى سُباتٍ عميق وسط ذهول المتواجدين بالغرفة ..

فانتفضت بفزع وتوجهت صوب عمار وهى تسأله:منو حنين؟

ارتبك عمار قليلًا وتنحنح قائلًا: ما أعرفش ..مايفوق باسل اسأليه

نظرت له نظرة نارية وبصوتٍ غاضب قالت : بتظن إنى مصدقة انك ما بتعرف من هى حنين ؟

بحنق قال عمار:

عارف ولا مش عارف مش قصتى يا مايا ..ثم انتى يهمك ايه ؟مش انتى طالبة الطلاق

وعالعموم صاحب الشأن مايفوق إسأليه

بنبرة عصبية أجابت مايا:ظن قصة طلاقى ولا زواجى أنا وباسل ماتخصك بشىء يا عمار...

تدخل "غسان" فى هذا الحديث المحتدم وقال بحزم: بظن يامايا لاهاد المكان ولا الزمان المناسب لفتح هيك مواضيع..

ثم تابع: المهم ان باسل بلش يفوق.. ولازم ييجى الطبيب يشوفه ويطمئنا على حالته

زمت مايا شفتاها بغيظ ..واتجهت من جديد بالقرب من فراش باسل للإمساك بيده فى محاولة للإفاقته ..

***

obeikandl.com

(10)

بكره وانت جايى

بكرا إنت وجايى رح زين الريح
خلى الشمس مراية والكنار يصيح
وجمع ناس وعلى قواس
وبكل شارع ضوى حكاية...
بكرا إنت وجايى ... إنت وجايى يا حبيبى
وبكرا إنت ومارق رح صور أبراج
أرسم البيارق ع روس الدراج
وصوت العيد يدق بعيد
والشجر يبكى عالمفارق
بكرا إنت ومارق... إنت ومارق يا حبيبى
رايتك منصوبة... والذهب ميزانك
عملنى لعوبة وحملنى حصانك
وبالساحة الكبيرة تمختر فيى
وعلق الغيرة على عينيى
بكرا إنت وطالل باركض بلاقيك
وسطوح المنازل كلها شبابيك
وإنت تدل علىّ تدل...
وتمسح لي جبيني بالسنابل
بكرا إنت وطالل... إنت وطالل يا حبيبى

"بكرة وانت جاى ..فيروز"

oberkanal.com

ما به يناير البارد عواصفه الشديدة لا ترحمنا ...وأمطاره الغزيرة لاتتوقف؟ ألم يكفنا أمطار الحزن التى هطلت على قلوبنا ؟!...

جلستا سويًا فى *المقهى* هى ودينا، أمسكت *فنجان قهوتها* لعلها تستمد منه الدفء ،، عيناها تائهة شاردة تنظر للخارج عبر زجاج *المقهى* تتأمل بكاء السماء بغزارة و بتنهيدة قالت :

تعرفى .. أنا بدأت أكره شهر يناير ده؟

نظرت إليها دينا بذهول متسائلة : ليه يا حنين بتقولى كده ؟

بهزة رأس خفيفة توحى بالألم تابعتها تنهيدة أعمق قالت :

لأن خالد الله يرحمه استشهد فى يناير من سنتين ,,,وفى يناير ده باسل اتصاب

ثم ابتسمت ساخرة وتابعت :

مش غريبة يادينا انهم الاتنين فى نفس الشهر يتصابوابطلق نارى..ولنفس السبب ثم تابعت ساخرة : علشان صراعات البلد

أومأت دينا رأسها وقالت بحسرة: فعلا ..معاكى حق ..صدف

بس إن شاء الله باسل هيتحسن وهيرجع بالسلامة...

لحظات وجع تحاصر قلبها يمتزج فيها الماضى بالحاضر ..خالد بباسل .. صورة مشوشة أمام عينها كأنها فى طريق فقدت معالمه فلا تدرى إلى أى الأماكن سيصل بها الحال ..

ووسط هذا الزخم الذي يدور بعقلها وقلبها ..يأخذها صوت المذيع وهو يطل بنشرته الإخبارية عبر شاشة تلفزيون المقهى وهو يقول: أما عن الشأن المصرى :

طالب الرئيس عدلى منصور الشعب بالنزول غدًا للمشاركة فى الاستفتاء على مشروع الدستور الجديد

حيث قال "منصور" موجهًا كلمة للشعب المصرى :فلنخرج جميعًا كما خرجنا فى الخامس والعشرين من يناير, وفى الثلاثين من يونيو, وفى الثالث من يوليو, والسادس والعشرين من يوليو, لكى نكمل ثورتنا ,كما أردناها بدستور يكون هو أول انطلاقتنا نحو دولتنا المدنية الديمقراطية الحديثة,وليس اخر محطاتنا فيها، وأضاف الرئيس منصور مخاطبًا الشعب: أدعوكم بدافع من مسئولية وطنية واجبة, وحرصٍ على حاضرِ هذا الوطن العظيم ومستقبله أن تتوجهوا إلى صناديق الإقتراع.. صوتكم أمانة فأدوها.. اصنعوا لوطنكم مستقبلًا يليق به.. اضربوا للعالم مثلًا فى التحضر والإلتزام. ....."

قطعت "دينا" تتبع النشرة الإخبارية بالممازحة مع "حنين" وهى تقول:

احنا شعب ملهوش حل بجد .. كل شويه تصويت للدستور ,,و كل سنة رئيس

ابتسمت "حنين" مرغمة وقالت لها بصوت يتخلله الألم : بس على الله المره دى تصيب .. الناس تعبت بجد والشعب عاوز يرتاح ويلاقى اللى يحس بوجعه ..مش كل واحد يقعد على الكرسى ما يشوفش قدامه غير الكرسى وينسى مين اللى جابه عليه

ضحكت دينا ممازحةوهى تقول:يا ستى احنا ورانا ايه..اللى ما يعجبناش هنقومه من على الكرسى ونجيب غيره..اهو التحرير موجود والشعب موجود

بصوت مخنوق قالت حنين: التحرير موجود فعلًا ..بس يا عالِم الشعب بالطريقة دى هيبقى موجود ولا هيتصفى يا إما فى الميادين ..يا فى الشوارع .. يا فى المظاهرات,,يا فى المدارس والجامعات ...يا فى المستشفيات

ثم تابعت بأسى: للأسف يا دينا مش بس المظاهرات هى اللى بيموت فيها الشعب ...المظاهرات ماهى إلا طريقة موت واضحة قدام الكل واللى بيموت فيها ليه تصنيفين مالهمش تالت : يا شهيد ...يا عميل

ولكن بره المظاهرات وبره الميادين ..ناس بتموت كل يوم فى العشوائيات وفى المستشفيات وفى الشوارع فى عز البرد ..وفى مركب وسط البحر بحجة انهم بيدوروا على لقمة عيش بره بلدهم

ودول بقى لا بنسميهم شهداء ولا عملاء ولا معترف بيهم أصلًا إنهم مواطنين وده اللى يوجع ..لأن علشان دول قامت المظاهرات وراح كتير من الأرواح .....قطع أسى كلامها صوت "عابد" وهو يقترب من طاولتهم وهو يقول: عسلامة ..أشنيا أحوال باسل اليوم ؟

تنهدت"حنين" وقالت بوهن: الحمدلله يا أستاذ عابد بدأ يفوق وخرجوه من غرفة العناية المركزة لغرفة تانية

عابد:

الحمدلله .. الله يحميه

دينا وحنين بصوت واحد: يارب

فى هذه اللحظة اقتربت الغزالة الشاردة "سارة" من طاولتهما وهى تسأل حنين ودينا: عن رقم باسل للإطمئنان عليه؟

نظرات متبادلة حائرة بين دينا وحنين عن اهتمام سارة المتزايد بباسل ..قطع هذه النظرات أبيها وهو يقول لها : أنا اطمأنيت على باسل وهو أحسن سارة

ابتسمت دينا قائلة: باسل الحمدلله كويس يا سارة بس احنا مش بنكلمه لانه مش هيقدر يتكلم تلفونيًا

احنا بنتطمئن عليه من عمار..وإن شاء الله لما نتصل بيهم هنبلغه يبلغ باسل سلامك

بعينين عابستين قالت سارة : لابأس ..يعيشك

وانصرفت مرتبكة من أمامهما ...تاركة على الطاولة قلبٌ يتسائل ما سر اهتمام هذه المراهقة بباسل لهذا الحد؟

قطع تساؤلها صوت دينا: وهى تؤيد هواجسها وهى تقول مداعبة: على فكرة يا حنين خلى بالك سارة حاطة عينيها على باسل

حاولت أن لا تُظْهِرَ شيئًا من هواجسها لصديقتها وبنبرة فيها لمبالاة قالت متسائلة: حاطه عينيها ازاى يعنى؟

دينا رافعة حاجبيها وبنصف عين :

يعنى معجبة بباسل ..انتى مش واخده بالك وهى بتسأل عن رقم تليفونه تحسى كأنها خطيبته ولاحبيبته لولا باباها كان واقف ما كانتش مشيت إلا لما خدت الرقم

ثم أردفت : ولا يوم رأس السنة مخدتيش بالك كمان انها كانت لازقه فى باسل أوى وبأى طريقة كانت عاوزاه يرقص معاها

حنين بنبرة ثقة: يا دينا ما تكبريش المواضيع ...سارة بنت مراهقة لسه وومكن تصرفاتها تكون عادية

دينا:

ما الخوف كله من المراهقة دى ...تصرفاتهم بتكون كلها عند وطيش

ابتسامة باهتة ترسلها إلى صديقتها ومحاولة منها أن تظهر أنها لا تغار ولكن بداخلها قلب ينبض نبضات متسارعه وعقل يحذرها من تلك المراهقة المشاكسة

***

هنا على أحد الأسرة بغرفة متواضعة بالمستشفى يرقد ..الشحوب يظلل وجهه ..ولفافات بيضاء تُحَاصِرُ صدره

عيناه شاردتان تتأملان سقف الحجرة وبرأسه مئات الأفكار تتصارع ...

لحظات قليلة من شروده أفاقه صوت الباب وهو يُفتح فنقل نظره من السقف إلى الزائر...

وجدها تقف أمامه بشبح ابتسامة صغيرة تلوح فوق ثغرها اقتربت منه بلهفة : حبيبى ..حمدلله ع سلامتك ..مبسوطة كتير ان اتنقلت هون بالغرفة

لهفة منها ..قابتلها لا مبالاة منه,, بل ذهول لرؤيتها أمامه وهى تنطق بكلمة حبيبى وعلى ملامحها إشارة بأنها كانت قلقة عليه

ببرود أجاب : الله يسلمك مايا

واستكمل وملامحه متهجمة وهو يقول: ليش جيتى مايا ؟

عبارة نزلت على رأسها كدلو ثلج أحبط كل محاولاتها فى التودد له من جديد ... استجمعت قواها وبنبرة تحدٍ قالت : شو ليش جيتى ؟؟ انت مو زوجى؟

ابتسم باسل ابتسامة باهتة وهو يقول: زوجك ...انتى على مين عم تتضحكي يا مايا انتى عرفانة حالك شو عم بتحكى؟ لولا " لينا" كنتى من زمان طليقتى

بصوت متحشرج قالت: انت ليش عم تحكى هيك ؟ما بيكفى انى صابرة انك مو معنا وتحملت كتير

ضحك باسل ضحكة ساخرًا وقال وهو يجاهد أن يخرج صوته : صابرة؟

صابرة على شو يا مدام؟

انتى مابيهمك غير المصارى وما فى راسك غير المصارى كنتى بدك يانا نتطلق منشان المصارى

وهلأ رجعتى منشان عرفانة انى وضع اليوم أفضل بكتير ولان حبيب القلب جاسر ابن خالك عشمك بأنك تتركينى منشان تتزوجيه وتسافرى معو امريكا .كمان منشان المصارى

عمرك فكرتى فيا أنا كزوج ..ولا فى بنتك انتى ما بيهمك شى بالدنيا كلها غير شخص واحد فقط وهو"مايا "

حتي "لينا" ما بتصل بيكم وأمى ترد عليا بلاقيك يا مدام معظم اليوم برات البيت ..ما فى شىء براسك غير شغلك ومصاريك تكبر وخلص

باسل ... قالتها مايا بصوت مبحوح يكاد يعافر أن يخرج ...قطعها هو قائلًا بحزم : مايا ... خلصنا

أنا بالزيارة السابقة بلغتك إن إجراءات الطلاق هتم بينا...ومو معنى انى كنت صابر تفتكرى أن هاد ضعف..أنا كنت صابر منشان لينا فقط ومنشان عارف ان ظروف خروجنا من سوريا ووفاة أبيك بعدها أثرت فيكى ..فقلت أأجل الخطوة لبعدين ..على القليل تكونى بدأتى تخرجى من حزنك على أبوكى وعلى حبيب القلب اللى تركك وسافر ..وما شاالله عليكى طلعتى من الحالة بسرعة وعم تشتغلى وتخرجى وتعيشى حياتك

مايا بعصبية :

انت شو بتحكى ؟ وليش مُصِرّ إنى كان بدى أتطلق منشان جاسر

بسخرية قال باسل: مايا منشان الله خلصنا... انتى اللى ليش مابدك تصدقى أن دور البراءة انتهى

وانتى عارفة منيح أن كل شىء كان معروف إيلى

ثم تابع بصوت مختنق: أنا منشان انتى أم بنتى سكتت ..ومنشان أمى المريضة سكتت ..ولكن سكوتى ما كان هيطول كتير يا مايا وانتى عارفة باسل منيح

أنا إن شاء الله ماهخرج من هون نبدأ بإجراءات الطلاق ولوبدك تعيشى متل ماانتى عايشة مع أمى ع راحتك..مابدك بأجر إلك بيت قريب من أمى وتعيشى فيه ..ولينا بنسَّق بيناتنا أمورها هتكون كيف

نظرات نارية منها وبغضبٍ عارم قالت :

أنت بدك يانا نتطلق يا باسل

أومأ برأسه وقال بأسى: كان المفروض من زمان يتم الطلاق وما تنسى انها كانت رغبتك يا مايا

بضحكة عالية ساخرة : إوعاك تكون فاهم انى مو فاهمة قصتك

نظر إليها باسل بتعجب : أى قصة ؟

حنين..قالتها مايا باستهزاء .. واستقبلها باسل بمفاجأة جعلته يتصبب عرقًا ..وبصوت مبحوح قال : حنين ..شو قصدك

بنفس لهجة الإستهزاء قالت مايا : اسأل حالك أنت ؟منو حنين اللى عم بتردد أسمها قبل ما تفيق

ابتسامة صغيرة بدأت تلوح على شفتيه وتهيدة صغيرة أراحت قلبه وهو يستمع إلى مايا وهى تقول أن اسم حنين لازمه وهو فى غيبوته ..

نظرت إليه مايا وشظايا نيران كادت أن تشتعل فى عينيها وبصوت صارخ قالت: أنت ليش عم تبتسم .؟ ومين حنين وشو قصتها

لم يسعفه الرد بعد ,,فدخول غسان وعمار إلى بالغرفة كان كافيًا أن يوقف هذا الشجار السخيف مع امرأة توهمه بأنها لازالت تحبه وتمارس حقوقها كزوجة تغار على زوجها..أى سخف هذا يا مايا ؟!

باسل بصوت ضعيف:مايا فيكى ترجعى الفندق ..أنا صرت منيح مابدى نقاش كتير

مايا بغيظ:

أوكيه يا باسل ع راحتك ..

خرجت من الغرفةوالغضب هو من يقودها... هكذا هم البشر *لايشعرون بقيمة ما فى* يدهم سوى بعد الفقد..

ومايا اليوم تجرب الفقد .. فالطائر الذى ظنت أنها ستسرجعه من جديد حلق بعيدًا عن قفصها ..

***

obeikandi.com

مر شهران ...

وهو متاجج بنيران الشوق واللهفة للعودة إلى باريس لرؤية أميرته المتمردة من جديد ...شهران انصاع فيهما لأوامر الطبيب بعدم الحركة وبالعناية الكاملة بنفسه لكى يلتئم الجرح ...

بعد مدة أسبوعين قضاهما فى المستشفى كان لابد أن يمتثل لنصائح أخيه غسان وصديقه عمار بالذهاب إلي "لبنان" واخذ فترة نقاهة فى وسط الأهل ... على الرغم من دفء أمه وبراءة لينا ابنته ذات الثلاثة أعوام ,واهتمام أخيه وأصدقائه به إلا أن هذه الدائرة تنقصهاحلقة لكى تكتمل سعادته وهى تلك المتمردة التى حاصرت قلبه وعقله "حنين" ولا أحد غيرها

لحظات من المتعة السريعة يتعبد فى محراب عشق جميلته المتمردة كان يسرقها فى محادثة تلفونية سريعة معها .. أو تبادل الرسائل فما بينهم .. ليست رسائل بل هى تعويذات حب فيما بينهم وكأن "نزار" أصبح بشعره رسول الحب بينهما

راح يتأمل رسالته الأخيرة لها قبل أن يرسلها :

"حبك يا عميقة العينين

حبك مثل الموت والولادة

صعب بأن يُعَادَ مرتين

عشرين ألف امرأة أحببت

عشرين ألف امرأة جربت

وعندما التقيت فيك يا حبيبتى

شعرت أنى الآن قد بدأت "

تعويذةجديدة تصلها منه .. يومًا بعد يوم تزداد لوعة رسائله ويزداد معها سرعة نبضات قلبها..

وهى بالأمس التى كانت رافضة واليوم مرحبة ...كانت متمردة واليوم خاضعة ..كان الماضى هو من يحركها واليوم الحاضر هو من يتملكها ... إنها مصيدة الحب التى تُذْهِبُ عقلك فى طريق اللاعودة ..وتسير على مصباحٍ واحدٍ فقط يضىء لك الطريق وهو القلب"

حركت أناملها الرقيقة على أحرف هاتفها وبين تردد وإقدام قررت أن ترسل هى الأخرى تعويذتها له ،، فكتبت

"وعدتك ألا أحبك ثم أمام القرار الكبير جبنت

وعدتك ألا أعود وعدت وألا أموت اشتياقًا ومِتُّ

وعدت باشياء أكبر منى فماذا بنفسى فعلت

لقد كنت اكذب من شدة الصدق

والحمدلله.. الحمدلله انى كذبت"

تعويذة أرسلتها اقتحمت حصون قلبه...فهاهى الأميرة بدأت تترك عرش التمرد وتسلم راية الحب صراحةً له ..وهاهو ميدان الحب بدأ يشتعل فارسٌ لأميرة.. وكل الطرق مشروعة أليس الحب كالحرب"

وعدتك ألا أحبك ثم أمام القرار الكبير جبنت"

وعدتك ألا أعود وعدتُ وألا أموتُ اشتياقًا ومِتُّ"

تعويذتها التى أرسلتها راح يكررها بينه وبين نفسه مرات ومرات..وابتسامةواسعة تلوح فوق ثغره ..على أثرها تبرز غمازتيه .. حالة من النشوة اجتاحت روحه بفضل تعويذة أميرته السحرية ....ألم يقل لها يومًا لا يمكنك الهروب منى ؟ فإلى أين ستهرب فكل الطرق تؤدى إليه ؟!

قطع حالة النشوة التى اجتاحته دخول صغيرته"لينا" وهى تركض صوب فراشه .. بمزاحها المعتاد وعنادها الموروث عنه وهى تشاكسه وتقول : بااثل ...انت ليش عم تكذب عليا ؟

فيضحك بمرح ويقول مداعباً: فى شو كذبت أنا يا بابا؟

تعقد حاجبيها وتزم بشفتيها وهى تقول:انت صارلك زمااااااااااااااااان كتير هووون على التخت وكل يوم تقلى بكرة راح أتفسح أنا وانتى لينا ومرق كتيييييير وقت وانت ما بتخرج من هون

بضحكةعالية وبيداهحاول جاهدًا أن يتحايل على ألمه وقربها من صدره بخفة وهو يداعب خصلات شعرها بيداه ويقول : خلص يا بابا بوعدك يومين اتنين والبابا راح يصير منيح كتيرر ونروح أنا وانتى فسح كتيير

رمقته بنظرة طفوليةمعاندة وبأناملها الصغيرة رفعت إصبعين وقالت :يومين انت مو أكتر

ابتسم لها مداعبًا : اى يومين اتنين

تابعت هى بطريقة جدية وكان الأدوار انقلبت وكانه هو طفلها : وقالت خلص بنشوف باااثل

ضحكة عالية منه ومداعبة لصغيرته فى بطنها جعلت ضحكتها تواكب ضحكة أبيها .. وعلى أإثرها برزت غمازتهما معًا

دخل "عمار" على صوت ضحكاتهما ووقف عند مدخل الغرفة عاقدًا ساعديه أمام صدره وبابتسامة ساخرة قال: وأنا اللى بقول اجى أزورك .. وأتطمن عليك لأنك لسه تعبان ..ألاقيك قاعد بتضحك وتلعب

نظر "باسل" صوب عمار مندهشًا من وجوده بلبنان وبابتسامة مرحبة قال: أهلين أهلين ..انت شو اللى جابك هون؟

اقترب "عمار" صوب فراش باسل وتلاقت الأيادى وتبادلا السلام وجلس على طرف الفراش وهو يأخذ"لينا"على رجليه ويقبلها مشاكسًا

وهو يقول: شفتى يا لينا بابا وحش ازاى؟ بدل ما يقولا حمدلله على السلامة ولانورت بيقولى انت جاى ليه؟

تقاطعه الصغيرة وهى تعقد حاجبيها وهى تقول بحدة: باثل مو وحش باثل منيح

بحاجبين مرفوعين وضحكة ساخرة يداعبها عمار ويقول لها: باثل منيح ... طيب يا ستى ابن الوز عوام نفس اللسان والعناد حتى الغمازة ..ده انتى ما ورثتيش حاجة من امك

فى هذه اللحظة أشار له "باسل " بخفض صوته قليلًا ..فنظر اليه عمار مندهشًا متسائلًا : فى ايه ؟هى هنا

أومأ باسل بالإيجاب ..وفى نفس اللحظة اتجه بوجهه نحو صغيرته وهو يقول لها :لينا يا بابا عمو عمار ما شرب شىء فيكى تخبرى الماما ولا تيتا تحضر قهوة ايلى ولعمو

ابتسمت الصغيرة ببراءة لتتقدم بقبلة صغيرة لأبيها ثم ركضت سريعة صوب الباب وخرجت ..وتركت للصديقين الساحة للحديث ففى جُعبة باسل الكثير والكثير ليحكيه لصديقه وكأنه كان جالسًا فى انتظار تلك الزيارة...

باسل متسائلًا بمزاح: ها ما قلتلى شو سر الزيا رة هون

عمار مداعبًا: يا أخى يعنى أنا أعمل معاك الواجب زى ما ما أعملش

باسل رافعًا حاجبيه باندهاش وبطريقة ساخرة قال: لأ طبعًا

كتر خيرك موعارف أودى جمايلك وين؟

عمار: يا سيدى أنا كنت بمصر كام يوم أجازة وقلت بدل ما أرجع من هناك مباشرة على باريس أجى أقعد يومين فى لبنان أطمأن على صديقى وحبيبى وأفسحوا كام يوم وبعدها نرجع سوى باريس

باسل ساخرًا: قول هيك يا حبيبى ..قال جاى تفسحنى

عمار:

يا سيدى أنا أفسحك انت تفسحنى واحد ...المهم نتفسح فى أجمل بلاد لله ونشوف أجمل مخلوقات الله

ثم تابع ممازحًا: ده أنا بسمع إن لبنان فيها بنات عجب

رمقه باسل بنظرة تعجبية ساخرة وقال له: اللى يشوف هيك يقول جاى من الصومال ما إنت يا أخى قاعد بباريس وبتشوف أشكال وألوان

ضحك عمار ساخرًا : وماله لما نجرب كل أنواع الفواكه حد يقول للنعمة لأ .. ثم تابع عمار بلهجة تحمل الجدية وسأل باسل: صحيح .. انت مش قلت انك هتطلق مايا لما كنا فى المستشفى غيرت رأيك ولا ايه؟

بنظرة غابتعنها الإبتسامة التى كانت تلوح فوق ثغره وشفتاه منذ قليل أجاب باسل:

أمى ماعرفت انى بدى أطلقها زعلت كتيررر ومرضت كام يوم .. أجلت الموضوع شوى ما صحتها تتحسن وأنا كمان صحتى تتحسن وبروح أبحث عن سكن قريب لمايا ولينا وأرتب إجراءات الطلاق

عمار :

ربنا كريم يا باسل ..وإن شاء الله والدتك تتفهم الوضع ..بس انت حكيت لها شىء عن قصة مايا مع ابن خالتها جاسر

بحزم قال باسل: لا ما حكيت ولاهحكى يا عمار بتضل أم بنتى

أومأ "عمار" رأسه صحيح معاك حق بالإضافة يعنى إنها ما خانتكش بالمعنى المعروف فى المواضيع مش عاوزة تكبر

قاطعه باسل وبلهجة يتخللها العصبية قال: الخيانة مو بس علاقة جسدية يا عمار

الخيا نة : فكرة ,, نظرة ..كلمة

ثم تابع بأسى : الزوجةاللى مو حابه زوجها ولا حياتها معو وبتطير لتفضفض لرجال تانى هيدا خيانة

وما بالك لوكان الرجال ده بيستغل الوضع وبيوهمها انها لو اتطلقت من زوجها أبواب الهنا هتفتح لها من زواجه إلها .. ومصارى بإسمها

كل هاد وتقولى مو خيانة؟!

بصوتٍ متحشرج وبنحنحة بسيطة أجاب عمار: معاك حق طبعًا... الحمدلله إن الامور كلها بانت قدامك ..

أومأ باسل براسه وشبح ابتسامة صغيرة تظلل شفتيه وهو يقول: ايه الحمدلله...

ثم اتجه بنظره نحو النافذة يتأمل حركة الأشجار فى الخارج ...لحظات قليلة من الصمت والشرود قطعها باسل وهو يقول لعمار: بتعرف أنا شو أول شى شدنى لحنين ؟

باندهاش تسائل عمار: ايه؟

بابتسامة أعمق وتنهيدة صغيرة أجاب باسل: إخلاصها

رفع عمار حاجبيه وقال متسائلًا: إخلاصها !

تابع باسل ولازالت الإبتسامة تضىء ثغره وكيف لا يبتسم وهو يتحدث عن أميرته التى احتلت عرش قلبه:

اى إخلاصها يا عمار...خطيبها توفى من أكتر من سنتين ولازالت مخلصة لذكراه ... وبالرغم إنها بلشت تحبنى وتتعلق فينى لكن أنا متاكد إن خالد لازال فى ركن بقلبها وما هتخرجوا بسهولة

ثم تابع بثقة: والغريبة ان برغم إنى غيران منو.. إلا إنى مبسوط

نظر لها عمار متعجبًا وقال ساخرًا : ايه الكلام الغريب ده ؟ غيران من راجل مات؟

لأ وكمان بتقول غيران ومبسوط ..انت شكل الرصاصة ما قصرتش فى صدرك بس .. لأ .عقلك كمان

ابتسم باسل ساخرًا وقال وهو يرجع برأسه للخلف مستندًا على ظهر الفراش وبإريحية قال: اى بغار من رجل مات بغار لأنه احتل قلبها وأخلصت إله كل هالسنين

ثم تابع بصوت يشوبه الحزن: مخلصه إله سنين وهى خطيبته مو مرته

فهم عمار ما يلمح به صديقه .. إنه الإخلاص الذى حُرِمَ منه باسل وذاق مكانه ألم الغدر والخيانة

حاول عمار أن يغير دفة الحديث وقال مازحًا: طيب غيران وفهمناها؟؟ أما مبسوط قصدك ايه ؟

ابتسم باسل من جديد: مبسوط انى بلشت أدخل قلبها وطالما هى بطبعها الإخلاص يبقى زى ما أخلصت لرجال متوفى هتخلص للحى أكتر بكتيررر

أومأ عمار برأسه مبتسمًا..فأخيرًا سيرسو صديقه على شاطئ الحب من جديد .. أخيرًا سيعبر بحر الوجع الذى أصابه من عامين من وجع

على وطن يتألم .. إلى وجع على قلب ينزف من غدر زوجة وأزمة ثقة بدأت تتلاشى يومًا بعد يوم ...

***

مر يومان ...تماثل فيهما باسل الشفاء نسبيًا وبدأ يقاوم ضعفه لتلبية مطلب صغيرته المتمردة..كما وعدها بنزهة

نزهة تَرَافَقَ فيها الصديقان باسل وعمار تحت سيطرة الصغيرة المشاكسة ... وكلاهما تحت إشارتها ..تناسى "عمار" مخططاته للتنزه والتنقيب عن فاكهة لبنانية تحت مسمي" أنثى" وامتثل لأوامرالصغيرة بالتنزه فى الملاهى وغيرها ...برغم امتعاضه فى بادئ الأمر إلا أنه كلاهما لا ينكر أن هذه الصغيرة "لينا" أرجعتهما لملعب الطفولة من جديد ..

يومان كانت صحبة ابنته هى شاغله الأكبر فهى اليوم الأميرة المتوجة وهو أحد جنودها ..هى تتدلل وهو يُدلِّل.. هى تأمر وهو ينفذ....

أميرة صغيرة متمردة هنا ... وأميرة أخرى متمردة هُناك فى بلاد جبال الألب

وما بين الأميرتين ضاع باسل ....

يومان أرهقت الصغيرة باسلها بالتنزه معها فى كل مكان..وبالرغم من إرهاقه الشديد وجسده الذى لازال تحت وطأة النقاهة إلا أنه كان بحاجة للإنفراد بصغيرته المتمردة ... المتمردة .. لازال هناك آخرى

متمردة تنتظر تعويذته اليوم ...أسرع بإخراج هاتفه من جيب بنطاله ...وكلمة واحدة كتبها لها

"بكـــره"

كلمة أرسلها هو بغموض ..واستقبلتها هى بتساؤل ذيلت ردها بعلامة استفهام تتبعها علامات تعجب ؟!!!!

ابتسم هو ساخرًا وهو يرى حيرتها عبر رسالتها فهَمَّ بإرسال رسالة أخرى مداعبًا : شو ؟؟ ما عرفتى حل اللغز ..فيكى تفكرى شوية

ابتسمت من رسالته ولعلها خمنت حل لغز كلمته مبتهجة وبدون تردد أرسلت رسالتها: بكرة ..... أنت جاى

بمداعبة أكبر أجاب عليها: ما بعرف ؟

عقدت حاجبيها فى تعجب من رده وأرسلت رسالتها بغيظ اختزلته فى كلمة واحدة فقط وهى اسمه: باااااااااسل !!!!!!!!

ضحك ساخرًا وهو يتخيل تعبيرات وجه أميرته والغيظ والحيرة يتملكانها..فأسرع بالرد لإراحتها وكتب:

لوبدك تعرفى الجواب... بتلاقيه بكره ع الساعة 11 بالمطار☺

راجع ..كلمة قالتها بقلبها قبل لسانها ..فهاهو باسلها سيرجع من جديد ... وهاهى قصة حبهما ستبدأ واقعًا ملموسًا بعيدًا عن شفرات نزار الشعرية ..وعن تعويذتهم اليومية السحرية

اتجهت صوب المطبخ وهى تختال من الفرحة لتُفْرِغ فرحتها فى إعداد كعكة صغيرة بنكهة الشيكولا ..وهى تتمايل وتدندن مع صوت فيروز الشجى وهى تغرد:

بكرا إنت وجايى رح زين الريح

خلي الشمس مراية والكنار يصيح

وجمع ناس وعلى قواس

وبكل شارع ضوى حكاية ...

بكرا إنت وجايى ... إنت وجايى يا حبيبى

وبكرا إنت ومارق رح صور أبراج

أرسم البيا رق ع روس الدراج

وصوت العيد يدق بعيد

والشجر يبكى عالمفارق

بكرا إنت ومارق... إنت ومارق يا حبيبى

obeikandi.com

رايتك منصوبة... والذهب ميزانك

عملنى لعوبة وحملنى حصانك

وبالساحة الكبيرة تمخترفيى

وعلق الغيرة على عينيى

بكرا إنت وطالل باركض بلاقيك

وسطوح المنازل كلها شبابيك

وإنت تدل علي تدل...

وتمسح لي جبينى بالسنابل

بكرا إنت وطالل... إنت وطالل يا حبيبى

obeikandl.com

(11)

أنا لحبيبى

أنا لحبيبى و حبيبى إلي

يا عصفورة بيضا لا بقى تسألى

لا يعتب حدا و لا يزعل حدا

أنا لحبيبى و حبيبى إلى

حبيبى ندهلي قلى الشتى راح

رجعت اليمامة زهر التفاح

و أنا على بابى الندى و الصباح

و بعيونك ربيعى نور و حلى

و ندهلى حبيبى جيت بلا سؤال

من نومى سرقنى من راحة البال

أنا على دربو و دربو عالجمال

يا شمس المحبة حكايتنا أغزلِّ

"أنا لحبيبى- فيروز"

obeikandl.com

صباح معبق برائحة الحب واللهفة ممزوج برائحة قهوة بنكهة البندق وقطعة من الكعك الشيكولا ..وقفت بشرفة المنزل وهى تتطلع فى شوارع باريس بعد موجة أمطار صباحية غسلت الطرق والأشجار ..غسلت معها قلبها من الهموم والاحزان وكأن الشتاء لا يريد أن يغادرها دون عقد تصالح معها ...فهاهو فى أخر أيامه الشتوية تغسل الأمطار أحزان قلبها ..وتهدأ العواصف الثلجية بينها وبين باسلها ويبدآن معًا استقبال فصل الربيع...بنثر أزهار الحب فى بستان قلبهما...

شاردة هى تتامل جمال باريس فى صباح شتوى هادئ ..أخذها من لحظة الصفاء هذه صوت"دينا" وهى تحذرها أن موعد الطائرة اقترب..

حركة مسافرين ومغادرين ..وأصوات عالية ونداءات لوصول رحلات ومغادرة أخرى... ووجوه لكلٍ منها تعبير يصاحبه مابين الفرحة والسعادة لاستقبال عائد .. والدمعة والحزن لتوديع مُسافر...

وقفت هى بوجه يعلوه اللهفة والإشتياق فى انتظار فارسها الغائب ....

تقلب فى وجوه العائدين بحثًا عن وجهه .. لحظات تمر بتثاقل ..فدقائق الإنتظار تُشعرك أنها ساعات ...

تمر عليك كسلحفاة تسابق أرنبًا فى السباق .. وعجوز تتخبط فى الحراك

شاردة هى فى وجوه المارة وبرأسها مئات الأفكار تتصارع وبكلمها آلاف الكلمات تتسابق ... ماذا ستقول له؟ وماذا سيقول لها ؟

وقفت بشرودها على إطلالته من بعيد... وصوت دينا وهى تقول : وصلوا باسل وعمار ... أهم جايين من بعيد

حنيييييين ..

ارتبكت وبصوت مهتز قالت: نعم

دينا: نعم الله علىكي انتى فين ... بقولك أهم وصلوا جايين بعيد

بارتباك يزداد كلما اقترب هو : اه يا دينا شفتهم

وبنبضات قلب كادت أن تتوقف .. وأنفاس تتسارع ...وصدر يعلو ويهبط...ووجه علسه تجمعت كل الألوان ....تلاقت الأعين

ابتلعت ريقها بصعوبة وبابتسامة صغيرة بدأت تظهر على شفتايا .. اقترب منها بنظرات كادت أن تخترق قلبها وتكشف كل ما يجول بخاطرها.... مد يده لسلام وبارتعاشة يد بادلته السلام

رتعاشة ..رجفت معها قلبه وهو يمسك بيدها الصغيرة لتستكين بين يده ... ثوانٍ قليلة وتنحنحت هى قائلة : حمدلله على السلامة

ابتسم بهدوء بينما هى سحبت يدها بخفة من يده وقال مبتسمًا : الله يسلمك ..اشتقتلك

احمرار غزا وجنتيها من كلمته التى أصر على قولها هامسًا بادلته خجله : وانت كمان

ثم تابعت لتتدارك حالة الخجل التى بدأت تُخيم عليها وبصوت به بحة صغيرة قالت: إزى صحتك دلوقتى

فابتسم مداعبًا وقال: اى الحمدلله منيح كتيييير ...وبفكر أخذ رصاصة تانية طالما الرصاصة الأولى خلت بعض الناس يقربوا أكتر إيلى

ابتسمت على استحياء وبلهجة معاتبة قالت له: بعد الشر ..الحمدلله ربنا ستر

على الجهة الأخرى اثنان واقفان يتأملان مشهد اللقاء واللهفة ... انتبهت حنين لدينا وعمار وهما واقفان على مقربة خطوات منهما وفى انتظارهما للخروج من المطار

فتنحنحت بخجل قائلة: طيب يلا بينا انتم جايين من سفر تعبانين ولازم ترتاحوا

فتدخل عمار ممازحًا وهو يقول: أنا بقول برضو نمشى وتكملوا سلام فى مكان تانى ..احنا كده معطلين حركة السير فى المطار

بضربة يد خفيفة على كتفه ضربه باسل وهو يقول بسخرية: اديش انك غليظ يا عمار

بادره عمار مداعبًا: أخ يا أخى يدك وجعتنى أمال بيقولوا تعبان وبيتحرك بصعوبة .....المرة اللى جاية الإصابة فى يدك

بعد الشر ..قالتها حنين بلهفة ....لهفة منها ..واكبتها رجفة فى قلب باسلها بابتسامة صغيرة تزين ثغره

***

فى المساء اتفق أربعتهم على اللقاء داخل مقهى الحرية ...

هنا على إحدى الطاولات كان اللقاء ...لقاء جديد يختلف عن غيره من اللقاءات السابقة فلأول مرة حبهما بات ظاهرًا لهما وللجميع...

ولأول مرة توقف الفارس عن ملاحقة الأميرة وتمردها ... فالأميرة اليوم غير ..نزلت ساحة الحب بكل إرادتها مُعلنةً عن استخدام كل أسلحتها أليست ا***لحب كالحرب من السهل أن تشعلها . . من الصعب أن تخمدها.*** "كما يقولون" وفى الحرب كل الطرق مشروعة .وكل الأسلحة مرفوعة ,,حتى وإن كان سلاح الغيرة الذى بدأ يتملكها بالفعل منذ دخول تلك الغزالة المراهقة "سارة"

وهى تقترب من طاولتهما بشغف وبلهفة تقبل باسل على وجنتيه مرحبة بعودته سالمًا ..

والشىء الذى أثار غيرتها أكثر وأكثر ليست هذه المراهقة وحدها وإنما تجاوب باسلها مع قبلاتها بكل إريحية وبابتسامة واسعة تظلل شفتاه وحديث متبادل ومزاح تارة بالعربية وتارة بالفرنسية بينهما...

وتوتر يجتاح قلب وفكر أميرته لم يلحظه هو بينما دينا كانت تتابع المشهد عن كثب ..وهمست مقتربة منها وقالت : شكل البنت دى مش سهلة .. ثم تابعت مداعبة :.وباسل ما شاء الله فاتح قلبه للكل عادى

مزاحًا لم تتحمله حنين فى هذه اللحظة ... فدينا قد لامست بمزاحها وترًا حساسًا وهو "الغيرة" التى لأول مرة تستشعرها مع هذا الباسل

انتقلت بنظرها إلى نقطة بعيدة لتشتت انتباهها عن مراقبة مزاح تلك المراهقة المشاكسه مع باسلها ولكى لا يظهر على ملامحها "ثورة الغيرة " التى بدأت تتملكها بالفعل...

ركزت مع هذا العجوز وكمنجته وهو يعزف لحنًا قريبًا منها جدًا ويلامس قلبها ..يعزف العجوز وتدندن هى وبرفق تنقر على الطاولة

نقرات خفيفة متفاوتة تنقر بأناملها على الطاولة لفتت انتباهه هو ونظر إليها وهى شاردة صوب العجوز وتدندن معه بصوت يكاد يكون مسموعًا ... فمال نحوها مداعبًا وقال: طب ما تعلى صوتك شوى ..بدنا نسمعك

على استحيا ء ابتسمت وهزت كتفيها لأعلى بحركة طفولية كادت أن تلهبه هو وقالت خجلة: تسمعونى ..للدرجة دى مستغنيين عن نفسكم

ابتسم هو الآخر ممازحًا وقال لها برقة : اى بالنسبة إيلى أى شىء منك حلو

تورد وجهها خجلًا وحاولت أن تتدارك هذه اللحظة وقالت بغنج : يعنى كل الحكاية بحب الأغنية دى أوى فاندمجت شوية معـــ....

لم تكمل عبارتها إلا ووجدته واقفًا أمامها منتصبًا مبتسمًا ويمد يده نحوها ويقول هامسًا: بدك ترقصى معى؟

طلبًا منه ..قابلته هى بإجابة لم يتوقع هو سرعتها ..انتفاضة منها من على المقعد واكبت انتفاضة بقلبه وهى تقترب منه بدلال مبتسمة مرحبة بنزول حلبة الرقص معه دون مقاومة ... دون تردد...دون تمرد

تلك هى الأنثى مايفعله الرجل فى عام لاكتساب قربها.. تفعلها الغيرة فى ثوان ...

غيرة من تلك المراهقة سارة جعلت جرس الإنذار يدق على قلب حنين يحذرها بأن باسلها فى دائرة الإختطاف منها ...

اقترب منها جعل البندقتان تلمعان داخل مقلتيها ...وحرارة أنفاسها الدافئة من الخجل والإرتباك تلفح وجهه ...بهمسٍ اقترب من أذنها وقال مداعبًا : بس شو هالتغيير المفاجئ؟

بدهشة نظرت له وقالت بصوت ضعيف: أى تغيير

تابع هامسًا : التغيير بالرقص

بتذكر الفرق بين الرقصة السابقة والرقصة المرة هيدى

بحاجب مرفوع وبلهجة تحدى قالت: ما هو لو فضلت تهزر كده كتير هنرجع للرقصة الأولى

بضحكة طفولية نبعت من قلبه واكبتها ابتسامة على ثغره قال مداعبًا: لالالالا ..منشان الله خلينا فى هالرقصة

تبادل نظرات وهمسات بينهما ...كادت أن تشعل غيظ الغزالة الصغيرة وهى تراقبهما من بعيد

ولحن فيروزى هادئ ناعم يعزفه العجوز على كمنجته " أنا لحبيبى و حبيبى إلى

يا عصفورة بيضا لا بقى تسألى

لا يعتب حدا ولا يزعل حدا

أنا لحبيبى وحبيبى إلى

obeikandi.com

أنا لحبيبى و حبيبى إلى ....

لحنًا رقص عليه الحبيبان وتراقصت قلوبهما معًا متناسين المكان بما فيه ...

****

باريس –ربيع 2014

ارتدت الأرض حلتها الخضراء مزركشة بألوان الأزهار الزاهية .. باريس تتألق فى أبهى زينتها بربيعها الدافئ وحدائقها التى تُشع بالخضار .. شمسٌ تتجرأ وتظهر من جديد بعد أشهرٍ من الحيا ء وراء غيوم شتوية سوداء .. وتنشر دفئها على الساحات الخضراء ..أزهار أشجار الكرز تتلألأ فى الحدائق ..وجميلته تتلألأ كرزتها على وجهها الوردى .. فها هو قد عاد فصل الأمل من جديد فى حياتها ..فصل تفتح زهرة حبها من جديد لتنمو وتترعرع فى بستان قلب حبيبها

فى غابة بالونيا الشهيرة حيث تُطِلُّ أشجار البولونيا فى كل مكان ..ويجرى السين بمياهه المتدفقة وسط الغابة ..ورائحة الورود تنبثق وتُعطر المكان عطر لا يضاهيه عطر الياسمين المنبعث من أميرته .. وبالقرب من أحد البحيرات جلسا سويًا عيناهما تجتمعان عند نقطة واحدة على الجهة الأخرى من البحيرة ..عاشقان جالسان يتهامسان ويتبادلان قبلاتٍ حارة ...قبلات جعلت قلبه ينبض بحرارة

وهو يتأمل جميلته الهادئة بحصانها الأسود الذى تمرد أخيرًا فوق كتفها ...وبندقتها اللامعتين تحت شمس باريس الدافئة... وهذه الكرزة الخجلة فوق وجهها ...

ود لو اقترب أكثر وأكثر وقطفها ... ولكن ثمة شىء بداخله يجعله يتراجع ... فى كل مرة يتواعدان ويلتقيان وفى بحور العشق يغرقان ..ثمة صوت داخلى يقطع سعادتهما....

هى أمامه كالكتاب المفتوح ...وهو أمامها لغزًا تعجز أحيانًا عن فهمه ..تارة سعيدًا طائرًا بحبهما ..وتارة شاردًا وذهنه غير صافٍ ..وكأن لعبة الأدوار تبادلت فيما بينهم ..هى الآن مقبلة وهو الآن متخوف..

هى الآن مرحبة وهو الآن متردد

تردد وتخوف وشرود لا تعلم هى سببه بعد,,,

وفى محاولات منها لفك لغزه يكون الجواب من ناحيته بأنه إرهاق وقلق عمل لا أكثر وقلق على الأهل بسوريا ولبنان مؤخرًا...

وبالرغم من أن تاريخ حياته أمامها بات معروفًا إلا أن ثمة حلقة مفقودة من دائرة حياته وهى زواجه

ثمة شخوص لم يتحدث عنهما بعد "مايا ..لينا"

يتذكر فى أحد المرات حينما عاتبه صديقه "عمار" وقال له: انت بقالك أكتر من شهرين راجع من لبنان وكل مرة بتقابل حنين فيها ولحد دلوقتى ما صارحتهاش بموضوع إنك متزوج وعندك بنت

حينها كانت العصبية إشارته فى الرد وهو يقول لعمار: وكيف هحكى بكل بساطة وأبلغها انى متزوج وعندى بنت

المشكلة مو مشكلة ان عندي بنت يا عمار لينا بنتى وبفتخر فيها فحياتى ..المشكلة فى مايا اللى كل ما بدى أخلص منها يطلع برأسي مليون قصة تأجل طلاقنا وأخرها استشهاد أخوها بسوريا من شهر ونصف

أجابه عمار بحزم : بس يا باسل انت كده مش هتخلص وأظن مايا عدى فترة على موت أخوها وانت كنت رتبت لها بيت قبل ما تجى باريس فإنهى بقى قصة مايا

أو إبدأ وقول لحنين كل حاجة عنك انتم بقالكم فترة مع بعض وحقها تعرف كل شىء عن حياتك

خائف قالها مهزومًا مرتبكًا لعمار....ودهشة كانت جواب عمار: خايف من ايه يا باسل .؟ ثم انت اللى بتقول خايف وانت معروف بشجاعتك وإقدامك فى شغلك وفى حياتك

بنظرة يأس وصوت متحشرج قال: الشجاعة بحروب الحياة شىء يا عمار وبحروب الحب شىء

خايف لوحكيت الها تتراجع أو تقلق أو تفكر إن كذبت عليها عن قصد

وأنا كل ما فى الحكاية إنى كنت منتظر بالأول أكسبها كحبيبه ..ما كان ينفع أحكى إلها بالأول عن وضعى وخصوصًا إنها كانت مترددة فى القرب منى ...ثم تابع بأسى: كيف يعنى أقولها إنى متزوج وعندى طفلة وهى لساتها متخوفة من تجربة حب جديدة بحياتها...كان لازم أضمن الأول حبها إيلى واعرف أنا فارق معها ولا مو فارق ..لو مو فارق فما يهمها كتير تعرف شىء عن حياتى الخاصة

قاطعه عمار متسائلًا: ودلوقتى عارف انت فارق معاها ولا لأ ..وضمنت حبها ليك يا باسل

أومأ برأسه وبتنهيدة عميقة وقال : نعم ..وهيدا اللى خلانى أخاف إنى أخسرها

شرود أخذه من جميلته وهو يتذكر حديثه مع صديقه من أسبوعٍ مضى ...قطع شروده وهى تنادى عليه بغنج وتقول :باسل ..باسل

نظر لها مرتبكًا مبتسمًا وقال بصوت هادئ: عيونو

بدلع وبضحكة صافية داعبته : لا انت مش معايا خالص كنت سرحان فى ايه؟

استدار صوبها ممسكًا يدها الصغيرة بين كفيه وقال لها هامسًا :فيكى

بمشاكسة وهى تداعب خصلات شعرها بعبثية طفله قالت : يا سلام .. هتضحك عليا بقى ولا إيه

بنظرة عميقة منه كادت أن تخترق عينها قال مبتسمًا : أى والله كنت سرحان فيكى

ثم تابع وهو يستدير بجسده على الوضع السابق وعيناه تتأملان البحيرة وقال بصوت مهزوز: حنين إوعدينى إن ما راح نترك بعض لو شو ما صار

استدارت هى الأخرى صوبه وقالت بصوت مبحوح :ليه بتقول كده يا باسل؟

هو فى حاجة؟

استدار من جديد نحوها وحاول أن يرسم ابتسامة على شفتيه وهو يقول ممازحًا : لا حبيبتى ما فى شىء

بس أنا هنزل لبنان قريب فى بعض الأمور بدي أنهيها وما بعرف يمكن أمرق ع سوريا

فبقول يعنى لواتصابت تانى ولا شىء ما تتراجعى وتقولى بدى أبدل هالرجال بحدا سليم كل يومين إصابة

ثم ختم كلامه بضحكة مداعبة

بينما هى كان لكلامه وقعًا مقلقًا على قلبها فثمة خوف أوغموض يحلق فوق رأسها وبصوت ضعيف قالت: بعد الشر عليك ..إن شاء الله تروح وترجع بالسلامة

ثم تابعت وقالت : أنا كمان على فكره بعد أسبوعين لازم أنزل مصر أنا ودينا

علت ملامحه الدهشة وقال متسائلًا : انتوا ما كنتم ناويين تنزلوا بشهر 7 قبل رمضان وتمضوا رمضان والعيد هونيك مع الأهل

أومأت برأسها قائلة: اه كنا ناويين فعلًا فى شهر 7 بس ..ماما تعبانة شوية الأيا م دى وكده كده سلمنا الأبحاث بتاعتنا والبحث الأخير هنشتغله فى مصر ولما نرجع فى أخر الصيف هنسلمه

زفر بعمق وقال: بس هيك كتير يا حنين طوال الصيفية ما هشوفك

ابتسمت له مداعبة وقالت: ما هو انت كمان بتقول مسافر لبنان وسوريا يعنى حتى لوهنا كنت هبقى لوحدى

بابتسامة ضئيلة رسمها قال: ايه بس كنت هروح شهر وأرجع مو متلك طوال الصيفية

ثم تابع بنظرة حانية ويده تلامس يدها قال : راح اشتقلك كتير

أخفضت رأسها خجلًا من عينيه وتمتمت قائلة بخفوت : وانت كمان ..هتوحشنى

***

أسبوعين مرًا عليهما ما بين لقاءات بنهار ربيع باريس ومحادثات هاتفية بالمساء يتخللها تعويذات سحرية فيما بينهما...

استعدادت كلًا منهما للسفر .. سفر يختلف فى هذه المرة عن كل مرات سفرها فلأول مرة لا تحمل معها حقيبة الفراق بل تحمل حقيبة حب واشتياق لرجل اقتحم حصون قلبها دون أستئذان ..

ولأول مرة ستشتاق إلى مكان بلهفة ..باريس التى أضاءت تحت سمائها نبراس الحب لهما ...

وفى شوارعها وطرقاتها ومقاهيها سجلت لحظات ولادة قصتهما ....

***

مصر – يونيو 2014

ثلاثة أعوام مروا انقلب فيهم حالها كحال بلادها ... ثورة غضب ..حزن ..فراق ..ألم ..وجع .. حنين... مشاعر اجتاحتها واجتاحت بلادها....

ولأول مرة بعد ثلاثة أعوام تبدأ تشرق على حياتها شمس الأمل

ولكن لا تعلم هل بعد ثلاثة أعوام ستشرق شمس الأمل على بلادها أيضًا ؟ أم ستظل عواصف الغضب والألم والفراق تجتاح البلاد

مجهول ينتظرهما معًا - هى وبلادها ..

فبالرغم من إشراقة الأمل التى باتت تزين حياتها مؤخرًا إلا أن الخوف من المجهول يقلقها ..ثمة صوت داخلى يخيفها ينبض مع نبضات قلبها ....

والحال لا يقل فى بلادها فثمة إشراقة أمل تلوح فالأفق تارة.. تواكبها غصات قلق من شبح ماضٍ قاسٍ وحاضرٍ مقلق مثقل بالمصاعب ومستقبل يصرخ وينتظر مايحمله الحاضر له ..

انتخابات رئاسية جديدة تطل على البلاد وتطل معها تطلعات جديدة بمستقبل يأمل الكثيرون بأن يكون أفضل مما مضى

..أحلام كثيرة يضعها البسطاء على قارعه طريق لايعلم أحد كيف سيكون بعد؟

حلم وماذا سوف يملك الفقير سوى حلم ..يأمل أن لا يسرق منه مرة أخرى ..

حلم بأن يكون إنسان لا أكثر ولا أقل ... لا يطلب المستحيلات ولا يتطلع إلى مليا رات نهبها غيره ..ولكن كل حلمه بأنه يحيا ويموت

كإنسان فى بلدِ يعيش فيها الكثيرون أمواتًا بأجساد أحياء وسط العشوائيات والمدافن والمستشفيات وعلى الأرصفة والطرقات ...

***

مرت ثلاثة أشهر صيفية حارة معبقة بحرارة الإنتظار والإشتياق كلًا منهما للأخر....

ومن جديد يجمعهما خريف باريس كأول لقاء لهما فى باريس ...

سبقها بأسبوعين بالعودة إلى باريس .. وفى إحدى الأمسيا ت الهادئة جلس كعادته يتابع بعض الأعمال على جهازه الحاسوب ... عطرًا مسائيًا ثقيلًا يتخلل أنفاسه ..ونقرات كعب عالى تقترب منه ..رفع رأسه مندهشًا وبنبرة مستنكرة قال: سارة

ثم تدارك دهشته وقال: شو هالحلا سارة ..متغيرة كتير

فاقتربت منه وجلست بجواره وقالت ممازحة بنغمة غنج مصطنع : عسلامة باسل

.. اليوم عيد ميلادى

فابتسم بهدوء مداعبًا : أهلين فيكى ...و كل عام وانتى بخير ..ما كنتى تحكى من قبل كنت جبت إلك هدية تليق فبكى ... بس معوضة إن شاء الله

اقتربت أكثر وبهمس قالت : لأ فيك اليوم تعطينى هديتى باسل

رفع حاجبيه مندهشًا وقال: كيف يعنى؟

قالت بثقة: أبغاك معنا بالبارتى توا

تنحنح باسل وقال: اى سارة بس أنا ما بعرف رفقاتك وما إيلى كتير بجو الإحتفالات هاد

بترجى قالت :يعيشك باسل ..

تحت إصرار الغزالة المراهقة ,,خضع باسل لمرافقتها لعيد ميلادها

أجواء من الصخب والرقص .. تغيم على أجواء ملهى ليلى صاخب .. دقائق أولى مرت وسط ترحاب أصدقائها ومعايدتها ...ونفور باسل من الأجواء ... فأقترب منها هامسًا :سارة المكان هون مو منيح

بدهشة تسائلت :par quoi ؟

كيفاش ؟

تنحنح قائلًا : بظن أبوكى ما بيوافق انك تجى هون متل هالأماكن سارة ..انتى مو شايفة الشباب حواليكى كتير سكرانين وبيرقصوا بطريقة مو منيحة

ثم تابع بلهجة بدأت تكون أغلظ لو بدك تحتفلى فيك بكافيه أبوكى ..أو بأى كافيه أفضل شوى من هاد المكان

كلمات دفعها هو بلهجة قاسية نوعًا ما نحوها وتوقع منها الغضب أوالعناد كما يسمع دائمًا من والداها ..ولكن وجد الخضوع والخنوع له وإجابة منها تؤيد حديثه ...تابعتها بسلام لأصدقائها بأنها متعبة وستحتفل بيوم اخر

خرجوا من الملهى وهو متعجبًا من طريقة هذه الغزالة المشاكسة ..فبادرها بسؤال :وين تحبى تروحى سارة

بيتك قالتها المراهقة بثقة ...واستقبلها باسل بتعجب بل باستنكار واكبه سؤال قاسى : انتى شو بتحكى؟

انتى عرفانة شو بتقولى ؟ شو يعنى صبية بعمرك تجى بيت عزاب حتى لو رفقات يا سارة مابيصير تحكى هبك

ثم تابع بقسوة: اى احنا بباريس ولكن ما تنسى احنا عرب ومسلمين

قاطعته بتمرد : باسل أنا ما نقصد شى سيء

أنا كنت أريد أحتفل معك بعيد ميلادى

تنهد باسل وبصوت حاول أن يخرج هادئًا متزنًا قال لها : ما بيصير سارة

وهلأ يلا على المترو برجعك البيت أو المقهى

أسرع وأسرعت ورائه ..تشبثت بذراعه لإيقافه...استدار نحوها متعجبًا لم تهمله فرصه للحديث ..وبسرعة خاطفة طبعت قبلة صغيرة سريعة على شفتيه ... قبلة سرقتها الغزالة المراهقة بخفة وثقة .... وأربكت باسل وألجمته لثوان .... ابتلع ريقه بصعوبة وقال بصوت متحشرج : شو هاد؟

نحبك برشا ...قالتها بكل ثقة وغنج ...واستقبلها هو بذهول أكبر ..ماذا تقول هذه المجنونة ؟! أنا أكبر منها بعشرون عامًا ! بات يسأل نفسه للحظات ...ثم تدارك الموقف بقوة وهو يقول لنفسه طيش مراهقة وعليك التعامل معه بهدوء... اقترب منها وأمسك يدها برفق ..فابتسمت هى ..وقال : سارة بدى إياكى تروقى شوية وتفكرى أنا عمرى 37 عام وانتى 17 يعنى أنا اكبر منك ب20 عام

فقاطعته متسرعة : ما يهم العمر

زفر بضيق وتابع كلامه : مو قصة ما يهمك ولا لأ يا سارة انتى لساتك طفلة مراهقة والعمر لساته قدامك

عقدت حاجبيها بضيق معترضة على ما يقول ..لم يأبه لاعتراضها واستكمل : ثم أنا يا سارة بحترم أبوك كتير وبعتبرك متل أختى الصغيرة ويا ريت ما نخطى هيك علاقات

بنظرة غيظ رمقته بها وقالت بصوت صارخ : نعرف السبب

نظر لها مندهشًا

فتابعت : حنين .. انت بتحب حنين

ارتبكت لثوان ..ثم تنهد تنهيدة رقيقة وقال بهدوء : اى أنا وحنين بنحب بعض يا سارة ..وانتى بكره الله بيرزقك بشخص المناسـ

لم يكمل عبارته بترتها الغزالة وهى تنصرف مسرعة من أمامه والغضب والبكاء يتملكها ...

***

كتير اشتقتلك بصوت متلهف دافئ قالها لها فور وصولها إلى باريس ...وبنظرات أعين كانت متعطشة للقاء طال ثلاثة أشهر لم يصبرهما لا محادثات تليفونية ولا تعويذات سحرية بينهما ..فتتلاقى الأعين وتتشابك الايادي له مذاق خاص .....

بالرغم من لهفة الإشتياق ونيران البعد التى اشتعلت فى قلبه إلا أنه تعمد منذ يوم رجوعها من مصر أن يكون لقائهما جماعيًا يضم "عمار ودينا" معهم ..وأحاديث جماعية نفتح ... لقاءات مقصودة وكأنه يأبى على نفسه من هذه اللحظة التى تتعرى فيها كل الخبايا أمامها ..

ولكن للاشتيا ق حدود وللأحباء لقاء ..

على جسر الفنون بجوار نهر السين ... جمعهما لقاء متلهف بنار اللهفة ...

نظرت لها متسائلة : بس ايه التغيير ده ؟ بقالك اسبوعين كل ما سألك نخرج تقولى مشغول شوية مفيش غير "الحرية" اللى بنروحها كل كام يوم

نظر لها حاضنًا كفها الصغير بين يديه وقال بلغة اعتذار : اى حبيبتى كنت مشغول شوية

بنظرة طفولية ممازحة قالت له: والنهارده بقى فضيت ليا

أومأ برأسه بابتسامة هادئة وقال مداعبًا حصانها الأسود : اى اليوم وكل يوم بفضى إلك ..بتمونى

ثوان صامتة تائهة عيناه السوداوين العميقتان فى بندقتها البنية اللامعة تحت شمس باريس المتلألأة

قطع الصمت ..سحبه ليدها صوب سياج الجسر

نظرت بدهشة إلى سيا ج الجسر وبابتسامة ساخرة قالت : ايه ده؟ كل دى أقفال ؟

فأجابها مبتسمًا : ايه ..بيسموها أقفال الحب

لا زالت الدهشة تخيم على ملامحها ..بينما تابع هو وقال: اكيد سمعتى أن بأكتر من مكان بالعالم موجود هالجسر بيسموه "جسر الحب أوجسر الأقفال" بدأت هون فى باريس 2008 الأسطورة بتقول :

إن الأزواج والعشاق بيجو هون ويكتبوا أسمائهم على القفل وأحيانًا رسالة صغيرة وبيعلقوها على سيا ج الجسر..

هيك تقليد جديد مو أكتر..ضحكت حنين وقالت ساخرة: فكرة حلوة وجديدة مع إن الحب الحقيقى مش محتاج أقفال علشان تحكمه

نظر لها مؤيدًا وشاردًا فى الوقت نفسه وقال مداعبًا: اى أكيد معكى حق ...بس هاد ما يمنع ان يكون إلنا ذكرى هون إحنا كمان ... فأخرج من جيب بنطاله قفلًا صغيرًا وقلمًا ..نظرت إليه بدهشة وطغت الْحمرة ملامح وجهها فاقترب منها هامسًا وقال كل واحد فينا يكتب على طرف القفل اسم التانى وكلمة صغيرة

أومأت برأسها على استحيا ء وأمسكت منه القلم والقفل وكتبت كلمتها ...

باسل .. بحبك

مسك القفل وقرأ كلمتها وطغت على ملامح وجهه ابتسامة هادئة وجاء دوره وكتب كلمته ...

حنين ....انتى أملى ...قرأتها هى بتعجب وابتسامة وحياء

علق القفل على السياج ..قفلًا يحمل أسمهما معًا وبصمة من قلبهما طُبِعَتت عليه....

وقف كلاهما ونظرهما معلق صوب مياه السين وهى تتصارع بهدوء ..ونسمات خريفية بدأت تهل على المكان.. استدار نحوها وبعمق رمقها بنظرة حب ..خوف ..احتياج... تمنى ....مشاعر مختلطة هزمته فى هذه اللحظة حسمها هو باقترابه منها وتذوق قطعة الكرز من على وجهها...

قبلة سريعة خاطفة منه ... ارتباك وخجل وتراجع إلى الخلف منها ...تنهيدة عميقة وصوت ضربات قلب تتعالى لا تعلم من قلبه أم قلبها أو ربما قلبهما معًا ....

صمت لثوان .... جعله يقدم مرة أخري لتذوق كرزته من جديد..قبلة طالت عن سابقتها جعلته يُحرر حصانها الأسود فوق كتفيها.. وتُحرر قلبها بين يداه.. . وشفتاها الكرزية بين شفتيه... قُبلة طالت وأطالت معها مشاعرهما

مشاعر اختلطت هو ..عاشق .. تائه ..خائف ..

وهى : مغرومة ومبعثرة بين خجلها وارتباكها....

لقائهما على جسر الحب ..جعل قلبها يخفق له اكثر .. وكأنها قدمت له صك الأمان أنا لك ..

بقبلة .. قبلة واحدة كانت كافية بأن تذهب عقليهما معًا ..ووعد وعهد زُيِّنَ بقفلٍ محفورٌ عليه أسمائهما معًا تُرك على سياج الجسر...

ظلت طوال الليلة تسترجع هذا اللقاء ..لقاء اختلف عن غيره من اللقاءات السابقة بينهما ..لقاء حسم أمر قصة حبهما بجملة واحدة "نحن لبعض" تاهت وشردت فى متعة هذا اللقاء ..بينما حمَّلَهُ هو هذا اللقاء عبئًا أكثر بأن يُسرع ليقدم لها صندوق أسراره ..فيكفى على حبهما خبايا تستظل وراء الستار .. آن الأوان أن يزيح الستار ويصارح ...يصارح بكل شجاعة ..فتلك معركة الحب الشجاعة والثقة من قواعدها ...

رنات متتالية على هاتفها تضىء بإسمه ..فتحت هاتفها وبصوتٍ لازال يتحكم الخجل فيه أجابت : ازيك

بصوت بدا متحشرجًا قال :منيح ...

صمت لثوان ثم تابع هو بجملة مقتضبة : حنين بدى نتقابل بكره الصبح بمقهى الحرية

تعجب وتساؤل تمكلها وبخفوت تسائلت : أنا لحقت أوحشك

بابتسامة هادئة وجملة لا تكاد تكون مسموعة قال: أكيد ..ثم أردف بصوتٍ متزن : خلص بنتقابل بكرة متل ما اتفقنا

مكالمة صغيرة مقتضبة رماها هو فى مرماها وتركها حائرة متسائلة عن ماهية اللقاء....

obeikandl.com

ليلة عاصفة وفنجان قهوة بنكهة الألم

صباح خريفى هادئ الشوارع هادئة لا صوت يعلو صوت وريقات الشجر وهى تتصارع على الطرقات ..وعلى المقهى كانت طاولتهما فى أحد أركان المقهى تجمعهما ...وفناجين قهوة بنكهة الألم أمامهما يرشفانه سويًا ...

حنين قالها هو بعد دقائق من الصمت والشرود

بترقب أجابته :نعم

تمالك نفسه للحظات وبدأ بإزاحة الستار... لغم موقوت كان بيده وفجَّرَهُ فى لحظات بوجهها...

ذهول ..وجع ..أنين ..بل صدمة تملكتها فى هذه اللحظة وهى تتسائل : متجوز وعندك بنت

طيب ليه ؟ لييييه؟ كذبت

ابتلع ريقه بصعوبة وراح يربت بيده على يدها ..فسحبتها منتفضة ..زفر هو بتوتر وتابع حديثه بهدوء : حنين أنا ما كذبت عليكى ... أنا أجلت أصارحك بالقصة لحد مـ

قاطعته ثائرة : لحد ما إيه ؟ لحد ما تضمن إنى حبيتك وتحطنى قدام الأمر الواقع ..

بهدوء قال: لا موهيك القصة .. ما تنسى انك بالأول ما كنتى مستجيبة معى وما كان بدك يانى أقرب منك

فكيف بصارحك بهيك أمور وأنا ما متاكد انك هتقربى وتحبينى ولا...

ثم أردف قائلًا : ثم أنا صارلي شهور أنا ومرتى بدنا نتطلق وكل شوية يحصل ظروف تأجل هالخطوة ..فما كان بدى أصارحك غير ما أكون أخدت خطوة الطلاق بالفعل ... وبالفعل اتطلقنا أنا وهى رسميًا ما نزلت هالصيفية

بنظرة ساخرة رمقته وبلهجة قاسية قالت : والله ..والمفروض إنى أصدق ..زوجة معاك 4سنين ودلوقتى قررت إنك تطلقها ..يا عالم طلقتها بالفعل ولا لأ... ولو طلقتها ما تفكرش ان ده شىء يسعدنى ..لأنك ما أخدتش الخطوة غير دلوقتى فيبقى بسببى

قاطعها بحزم وقال: لا مو بسببك يا حنين أنا قلتلك انى صارلى عامين أنا وهى بدنا نتطلق ولكن لظروف عائلية عندى وعندها ولأن طلعنا من سوريا ما كان بدى أتركها مع بنتى بعيد عن نظرى كان لازم تقعد فترة مع أمى لحد ما أظبط الأمور

هزت رأسها بتوتر وقالت والدموع متحجرة بعينيها: عامة طلقتها بسببى ولامش بسببى أنا مش فارقة معايا

ثم هَمَّت بالوقوف غاضبة ..فانتصب أمامها منتفضاً وقال لها بصوت رخيم: أمال شو اللى فرقانة معك حنين؟

بنظرة ثقة وتحدى قالت : اللى تفرق معايا أننا ننهى الحكاية دى وكفاية لحد كده

رمقها بنظرة عتاب وقال بنبرة قاسية : شو يعنى ننهى الحكاية .؟ هو لعب أطفال يا حنين

ثم حاول أن يستعيد هدوئه من جديد وقال لها : حبيبتى أنا بعرف إن الخبر قاسى شوى عليك وبعرف إن إلك حق تزعلى وتثورى

لوبدك نبعد فترة لَتروقى ما عندى مانع يا حنين ...بس لازم تعرفى إنى ما كنت قاصد الكدب عليكى أنا كل ما فى الأمر خفت إنى أخسرك فأجلت الخطوة لحد ما أتأكد من حبك إيلى وأرتب وضعى مو أكتر

بنبرة استهزاء وسخرية قالت وهى تحمل حقيبتها :وانت مفكر ان دلوقتى ما خسرتنيش .. ثم تركته وانصرفت غاضبة..

***

أيا م تلى أيام ... عاصفة الغضب لم تهدأ بينهما ...أزمة ثقة تتملكها والخوف من الفقدان يتملكه

معركة حب بدأت على جسر العاصى بتركيا من ناحيته وختمت بقبلة على جسر الفنون بباريس

وبين الجسرين ضاع الحبيبين بين حب سجل فى بادئ الأمر انتصارهما وانتهت المعركة بهزيمتهما معًا ..فتلك هى معركة الحب "الإنتصار والهزيمة تجمعهما "

لقاء أخير على مقهى الحرية ... لقاء أبلغته فيه انها ستغادر باريس بعد يومين ...لقاء لا تعلم هى هل تودعه أم أنها تودع قصة حبهما معًا ؟ أم تنتظر معجزة من السماء تخبرها أن كل ما قاله فى اللقاء السابق حلم بل كابوس لا أكثر...

محاولات منه لاسترجاعها من جديد ...وصد من ناحيتها حسمته هى بذكرها عبارةً أوقفت محاولاته لها وهى تقول: أنا اكتشفت إن خالد الله يرحمه هو الحب الحقيقى فى حياتى

جملة رمتها هى ككرة نيران فى ملعبه ...أوقفت معها كل محاولاته وكل لهفاته لها...

جملة جعلته ينتفض واقفًا ويقول لها: أوكيه طالما خالد هو الحب الحقيقى ..بظن أنا ما إيلى لزوم أضل هون أكتر من هيك .... بس تذكرى إنك طول ما فى بقلبك وعقلك غير خالد ما هتقدرى تعيشى المستقبل ..لازم تجددى تأشيرة الأمل والحب فى حياتك من جديد..الحياة ما بتقف على حدا...

كلمات بل طلقات نارية أطلقها هو بوجهها وهَمَّ بالإنصراف ,,,آلمها وآلمته ..تركها وتركته وها هى معركة الحب بينهما تنكس أعلامها فى مقهى "الحرية"

***

ظلت للحظات تقرأ عبارته الأخيرة مراتٍ ومرات إلى أن انتبهت على صوت كابتن الطائرة يعلن وصول الطائرة إلى مطار القاهرة الدولى..هَمَّت بإغلاق الرواية فوجدت فى آخر ورقة كلمة مكتوبة بخط اليد " لازال هناك قلب بجبال الألب بنبض بحبك ..ولازال هناك قفل على جسر يحمل اسمك .. فعودى من جديد" ..كلمات جعلت قلبها تتسارع دقاته من جديد ..ثوانٍ وأغلقت الرواية . وعلى أوراقها سجلت عبراتها

ظلت عينها ترمق العنوان لثوانٍ قبل أن تعيدها من جديد إلى "حقيبتها" لاجئٌ إلى الحب"....يوسف الشامى------

دقائق ضاعت بين إجراءات الوصول وخروج حقائبها ..تنبهت على صوت رسالة ..فتحت هاتفها لتجد رسالة معلنة عن اسمه "يوسف الشامى"

محتواها..حمدالله على سلامتك ..بتمنى تكون رحلتك منيحة وتكون عجبتك مفاجأتى :)

تنهدت بعمق وهى تقرأ رسالته وحركت أصابعها بتثاقل وهى تبحث عن رد لتكتبه له وبعد لحظات كتبت:

الله يسلمك...عجبتنى مفاجأتك .. وصدمتنى ..

وأرسلتها له بغموض تعلمته منه مؤخرًا ....

ثوانٍ وأعلنت رسالته قدومها : كيف صدمتك؟؟!

همَّت دون تردد وكتبت: صدمنى أنك ذكرت أسماء أبطال الرواية كلهم حقيقية إلا إنت سميت نفسك "باسل"

وتابعتها بعلامات تعجب !

وجاء رده الذى أذهلها بل ألجمها للحظات"لأن معركة الحب لم تنتهى بيناتنا بعد منشان هيك لازم أكون باسل "

رسالة ألقاها هو فى ساحتها معلنًا إشهار سيفه من جديد والنزول لمعركة الحب مع أميرته المتمردة فى جولة جديدة....

***

تم بحمد الله

obeikandl.com

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com
ت -02 35860372- 011-27772007

obeikandl.com